الدكتور زهير محمد الزميلي

حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة

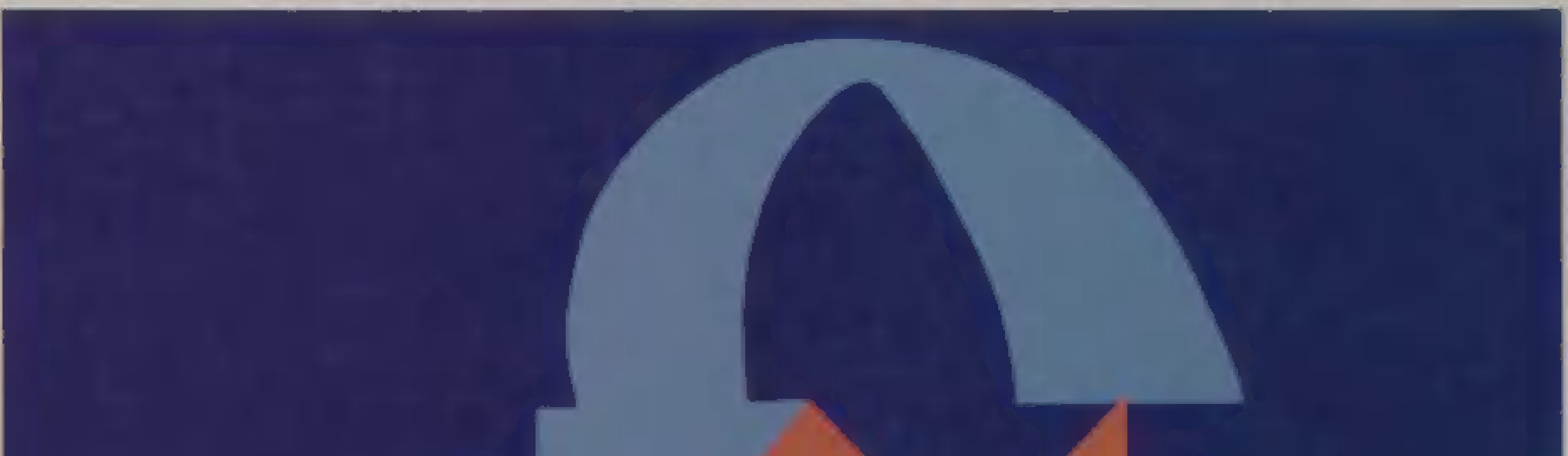

دار الفرقان

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٢
ترخيص رقم : (٧١)

٢٥٤/١
ز ز ح

حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة

إعداد
الدكتور زهير محمد الزميلي

دار الفرقان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

دار الفرقان للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
ص. ب ٩٢١٥٢٦ - هاتف ٦٤٠٩٣٧ - ٦٤٥٩٣٧ - ٦٢٨٣٦٢
العبدلي : عمارة جوهرة القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد: أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد:

فأقدم هذا البحث إلى كل أخت مسلمة ملتزمة بدينها أو غير ملتزمة، أكتبه لكل أخت لتحافظ على نفسها من مخاطر كبيرة تواجهها في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة.

أكتبه وكلي أمل في وعي هذا الجيل وسعة أفقه.

أكتبه وكلي أمل في أن تدرك كل أخت أنها في خطر عظيم وعلى حافة مزالق كثيرة، خاصة وأن الإختلاط بين الرجال والنساء قد عمّ وطمّ.

أكتبه وكلي أمل في أن إدراك الأخت، كل أخت مسلمة، لحقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة سيمنعها من الإقدام على كثير من الخطوات التي قد لا تكون نهايتها لصالحها، بل أكاد أجزم بأنها ستخسر الكثير بالإقدام على أي من تلك الخطوات.

وأكتبه كذلك لكل مسلم حتى يعود لرشده ويدرك خطورة ما يفعل.

أكتبه لأرفع مسؤولية عن كاهلي وأحملها لكل فرد، ذكراً كان أم أنثى وأحمّلها لكل مسؤول له علاقة بما يسير نحوه مجتمعنا.

وأكتبه قبل كل شيء لأعذر أمام الله عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون.

﴿قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ الأعراف ١٦٤.

تمهيد

حول المنهج الرباني

١ ـ منهاج كامل .
٢ ـ منهاج ميسر .
٣ ـ منهاج ثابت .
٤ ـ مميزات ثبات منهج الله .
٥ ـ تشريع حكيم وتقدير صحيح .

١ ـ منهاج كامل

لقد أنزل الله عز وجل كتابه العزيز على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه وبيّن لنا فيه صفاته العلية وأسمائه القدسية وأنه العليم الخبير الرحمن الرحيم اللطيف العظيم فكان المنهاج المنزل من الله سبحانه محتوياً على صفات الكمال والشمول والإستيعاب لشؤون الإنسان الدينية والدنيوية. يقول سبحانه وتعالى **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** المائدة ٣ وقال تعالى: **﴿أأنتم أعلم أم الله﴾** البقرة ١٤٠ وقال تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾** الأنعام ١٥٠. وقال تعالى **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة ٨٥ وقال تعالى **﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** المائدة ٥٠ وقال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما﴾** النساء ٦٥.

فكان ولا يزال منهاج الله سبحانه الذي جاء في كتابه الكريم

وما ثبت من السنة الصحيحة، وما جاء على أسس من ذلك مبنياً على قواعد وأصول وضعها أئمة المسلمين إستنباطاً من المصادر السابقة، كان ذلك المنهج عالي الشأن، رفيع المكانة، كان ولا يزال هو الأحسن والأشمل والأيسر والأعدل والأثبت، والأوفق لحياة الناس، ولقيام الدنيا على أسس من العدل والمساواة والطهارة والجمع بين الفردية والجماعية وبين الدنيا والآخرة.

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ البقرة ١٢٨. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه (في ظلال القرآن): ـ [إن القرآن الكريم هو كتاب هذه الأمة الحي ورائدها الناصح، وأنه هو مدرستها،

التي تتلقى فيها دروس حياتها، وإن الله هو المربي، ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، لقيادة أجيال هذه الأمة وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة، الذي وعدها به كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن، واستعزت به، واستعلت على جميع المناهج الأرضية الجاهلية. إن هذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى ولكنه دستور شامل، دستور للتربية كما أنه دستور للحياة العملية][1].

ويقول أيضاً: [لقد شرع الله للبشرية ما يعلم سبحانه أنه يتناسق مع طبيعتها وفطرتها، ومن ثم يحقق لهذه البشرية أقصى درجات التعاون فيما بينها والتعاون كذلك مع القوى الكونية الكبرى شرع في هذا كله أصولاً. وترك للبشر فقط إستنباط التشريعات الجزئية المتجددة مع حاجات الحياة المتجددة، في حدود المنهج الكلي والتشريعات العامة][2].

٢ - منهاج ميسر

لقد بين الله جل وعلا أنه إنما يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر فقال تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة ١٨٥. وقال: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ النساء ٢٨. وقال: ﴿**ولو شاء الله لأعنتكم**﴾ البقرة ٢٢٠ وقال: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ البقرة ٢٨.

وإنَّ كل ما جاء في كتاب الله من تكاليف هو في وسع الإنسان المعافى جسدياً، وأما المريض والمكره وفاقد الأهلية فقد خفف الله عنهم كل حسب قدرته. قال تعالى ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ التغابن ٣٦. ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾ البقرة ٢٨٦. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن ١٢١ /جمع وإعداد أحمد فائز /تأليف الأستاذ سيد قطب /دار العربية للطباعة والنشر /بيروت ط ١

(٢) نفس المصدر ١٦.

الظلال: [إن الله سبحانه يعلم طبيعة هٰذا الإنسان الذي خلقه، وحدود طاقته. فلم يكتب على الناس في الدين الذي جاء للبشر أجمعين إلا ما هو ميسر للجميع حين تصح العزيمة. وتعتدل الفطرة وينوي العبد الطاعة ولا يستهتر ولا يستهين. وتقرير هٰذه الحقيقة ذو أهمية خاصة في مواجهة الدعوات الهدّامة التي يدفعها الطواغيت، والتي تدعو الإنسان إلى الإنحلال والحيوانية والتلبط في الوحل كالدود بحجة أن هٰذا هو واقع الإنسان وطبيعته وفطرته، وحدود طاقته، وأن الدين دعوة مثالية لم تجيء لتحقق في واقع الأرض، وإذا نهض بتكاليفها فرد فإن مئة لا يطيقون.. هذه دعوى كاذبة أولاً، وخادعة ثانياً، وجاهلة ثالثاً. لأنها لا تفهم الإنسان ولا تعلم منه ما يعلمه خالقه الذي فرض عليه تكاليف الدين، وهو يعلم سبحانه أنها داخلة في مقدور الإنسان العادي لأن الدين لم يجيء للقلائل الممتازين. وإن هي إلا العزيمة ـ عزيمة الفرد العادي، وإخلاص النية، والبدء في الطريق، وعندئذ يكون ما يعد به العاملين ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ فمجرد البدء يتبعه العون من الله، ويتبعه التثبيت على المضي في الطريق ويتبعه الأجر العظيم، وتتبعه الهداية إلى الطريق المستقيم](١).

ولذلك كان هٰذا المنهج جامعاً للخير كله، لكل بني البشر إن هم ساروا عليه، فكان سهلاً ميسراً ثابتاً لتتبعه البشرية على مر العصور إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ الحجر ولتكون موازينها ثابتة على الدوام. ولقد بعث الرسول ﷺ ميسراً ومعلماً ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم [لم يبعثني الله تعالى معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً وميسراً](٢).

يقول الأستاذ يوسف القرضاوي في كتابه (الحلال والحرام في الإسلام): [إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات. ولهٰذا جاء بشريعة عامة خالدة تتسع للأقطار كلها وللأعصار قاطبة وللناس جميعاً. إنه لا يشرع

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن ٣٤.
(٢) حسن الأسوة ص ٤٣٢ ط ١ /محمد صديق خان /مؤسسة الرسالة.

للحضري ويغفل البدوي، ولا للأقاليم الباردة وينسى الحارة، ولا لعصر خاص مهملاً بقية العصور. إنه يقدر ضرورة الأفراد وضرورة المجتمعات ويقدر حاجاتهم ومصالحهم جميعاً][1]. و[إن دين الإسلام هو دين كامل وشرع شريف شامل، مبني على جلب المصالح ودرء المفاسد، فلا يحرم شيئاً من المحرمات، إلا لأنه ضار بفاعله وبالناس مباشرة، أو تسبباً، ومدار سياسة الإسلام على ستة أمور، أحدها: حفظ الدين، والثاني: حفظ الأنفس، والثالث: حفظ الأموال، والرابع: حفظ الأنساب، والخامس: حفظ العقول، والسادس: حفظ العروض: أي حفظ الفروج.][2].

٣ ـ منهاج ثابت

إن منهاج الله ثابت لا يتغير وأما التشريعات البشرية فغير ثابتة وناقصة مما يؤدي لتناقض الأمور واختلاطها على الناس، فما كان بالأمس حلالاً يصبح اليوم حراماً وهكذا يغير الناس في قيمهم كل يوم، ومع هذا التغيير لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال فأحكامهم وموازينهم في تقلب دائم لا يدرون علام يستقرون ولا إلى أي شيء يحتكمون، [إن نظام الله خير في ذاته لأنه شرع الله ولن يكون شرع العبيد يوماً كشرع الله][3] وإن من نعم الله على الناس أن شرع الله ثابت ومحفوظ من الله عز وجل قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر ٩. يقول الأستاذ عبد القادر عوده في كتابه التشريع الجنائي في الإسلام. [والعلة في استهانة القوانين الوضعية بالأخلاق أن هذه القوانين لا تقوم على أساس من الدين وإنما تقوم على أساس الواقع وما تعارف الناس عليه من عادات وتقاليد. والقواعد القانونية الوضعية يضعها عادة الأفراد الظاهرون في المجتمع بالإشتراك مع الحكام وهم يتأثرون حين وضعها بأهوائهم وضعفهم البشري ونزعاتهم الطبيعية إلى التحلل من القيود... كذلك فإن هذه القواعد قابلة للتغيير والتبديل بحسب أهواء القائمين على أمر الجماعة. فكان من الطبيعي أن تهمل القوانين

(١) الحلال والحرام في الإسلام /د. يوسف القرضاوي ص ١٨٣ ط ٩ ١٩٧٥ /مكتبة وهبة.
(٢) الاختلاط وما ينشأ عنه من مساوىء ٣.
(٣) طريق الدعوة ١٧٥.

الوضعية المسائل الأخلاقية شيئاً فشيئاً وأن يأتي وقت تصبح فيه الإباحة هي القاعدة والأخلاق الفاضلة هي الإستثناء. ولعل البلاد التي تطبق القوانين الوضعية قد وصلت هٰذا الحد الآن](١).

٤ ـ مميزات ثبات منهج الله وضرورته

إن ثبات منهج الله وحفظ الله له من أكبر النعم على البشرية وإن هٰذا الثبات ليجعل القيم والموازين ثابتة على مر العصور والأزمان فالإسلام هو الدين الخاتم الذي جاء به الرسول الخاتم ﷺ.

إن هٰذا الثبات يبعث الإستقرار في النفوس والإطمئنان إلى الموازين التي يعيش بها الإنسان على مر العصور، وبذلك تتكامل التجربة البشرية على مر التاريخ.

إن البعد عن منهج الله شقاء للبشرية وتعاسة لها لأنها عند ذلك ستصبح كل يوم في ظل قيم وموازين جديدة.

إن البعد عن منهج الله وعدم تحكيمه في حياة الناس هو كفر وظلم وفسق. قال تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة ٤٤. [ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون] المائدة ٤٥ [ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون] المائدة ٤٧. [وإن غيبة الفكر الديني عن دنيا الناس، وتعطل حاكمية الله في الأرض، وهيمنة التشريعات والنظم والقوانين المنبثقة عن النظريات المادية كانت العامل الأساسي في إنحراف سير القافلة البشرية عن الطريق القويم وانطلاقها في متاهات الضياع والشرود](٢).

٥ ـ تشريع حكيم وتقدير صحيح

إن الإسلام عندما يشرع لأي جانب من جوانب الحياة فإنه يقدّر ذلك الجانب حق التقدير ويشرع فيه ما يتناسب وطبيعة الإنسان مراعياً فطرته وما

(١) الإسلام والجنس ٥٦ للأستاذ فتحي يكن /نقلاً عن كتاب التشريع الجنائي في الإسلام للأستاذ عبد القادر عوده.

(٢) الإسلام والجنس ١٢ /فتحي يكن /مؤسسة الرسالة.

يصلح المجتمع في نفس الوقت. وفيما يتعلق بعلاقة الرجل والمرأة. وحدودها فلقد قدر الإسلام طبيعة الرجل وطبيعة المرأة ووضع من الأحكام ما يناسبهما بما يتوافق مع مهامّهما، ووضع من الضوابط ما يجعل كل منهما في أمن واطمئنان إن هو التزم بهذه الضوابط، [فلم يعرف الإسلام الغفلة وحسن الظن ولكنه عالجها بالحزم والحذر، وسدّ كل منفذ يمكن أن تهب منه ريح الخطر][1]، وإن القاعدة الأساسية التي تحكم التعامل بين الرجل والمرأة هي «أن الرجل يمكن أن يفتن بالمرأة وأن المرأة يمكن أن تفتن بالرجل».

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» أخرجه الشيخان والترمذي، ووجه كونهن أضر، لأن الطباع تميل إليهن، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا وإفسادها أضر. وعن حذيفة قال: سمع رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «الخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، وحب الدنيا رأس كل خطيئة. قال وسمعته يقول: أخّروا النساء حيث أخّرهن الله» رواه رزين. أي: لا تقدموهن ذكراً وحكماً ومرتبة. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء» رواه مسلم. وعن إبن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، إذا أحدكم أعجبته إمرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى إمرأته وليواقعها، فإن ذلك رد ما في نفسه» رواه مسلم.][2]

وقال الشعراوي [والحب بالعقل فهو قدر][3].

[فالعشق بين الرجل والمرأة وضع إلهي، فتارة يكون من الطرفين، وتارة يكون من أحدهما وإذا لوحظ الوضع الإلهي، فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق][4].

(١) الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل ٤٤ /محمود الجوهري طباعة دار الأنصار.
(٢) حسن الأسوة ٣٢٥ + ٣٢٦
(٣) المرأة كما أرادها الله. ٢٨ /محمد متولي الشعراوي /مكتبة القرآن.
(٤) حسن الأسوة ١٠٣

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال» رواه إبن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

إن الإسلام عندما يشرع في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة فإنه يشرع لأصل هٰذه العلاقة وهو ﴿**ولقد همّت به وهمّ بها**﴾ يوسف ٢٤. ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء**﴾ آل عمران ١٤. ويشرع لعامة المسلمين، ولا يشرع فقط لحالات كمال الدين والتقوى ﴿**لولا أن رأى برهان ربه**﴾ يوسف ٢٤. [قالت إتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها] من حديث عبدالله بن عمر ومتفق عليه والحديث بطوله صفحة ١٣/١٤/١٥ من كتاب رياض الصالحين طبعة الحلبي[١].

وإن معظم المسلمين ليسوا بكاملي الإيمان ولذلك كان لا بد للتشريعات من أن تعالج درجات الإيمان كلها ولا تعتمد فقط على كمال الدين والتقوى الذي لا يوجد إلا عند القلة وبذلك تكون هٰذه التشريعات مغايرة للواقع وهٰذا يناقض الحكمة وحاشا لله أن يناقض شرعة الحكمة أو أن يكون بعيداً عن حقيقة الواقع.

إن أصل العلاقة بين الرجل والمرأة هي إمكانية الفتنة والإعجاب، فلكل منهما عواطفه وأحاسيسه الفطرية ﴿**ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها**﴾ الشمس ٧+٨ وقال تعالى: ﴿**وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ النساء وقد تحدث الفتنة من طرف واحد، لأنه لا أحد يعلم ما سيكون رد الفعل عند الطرف الآخر، نتيجة مثير معين، حتى ولو كان الطرف الآخر هو المرأة.

قال تعالى: ﴿**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**﴾ أي لفعل ما همّ به، وأطال المفسرون في تعيين البرهان الذي رآه بلا دليل يدل عليه من السنة المطهره، واختلفت أقوالهم في ذلك اختلافاً كثيراً، والحاصل أنه رأى

(١) رياض الصالحين ـ طبعة الحلبي ص ١٣، ١٤، ١٥.

شيئاً حال بينه وبين ما همَّ به، والله أعلم][1].

[عرض الحجاج سجنه يوماً، فأُتي برجل فقال له: ما كان جرمك؟ قال: أصلح الله الأمير أخذني العسس وأنا مخبرك بخبري، فإن يكن الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة. فقال: ما قصتك؟ قال: كنت أخا لرجل فضرب الأمير عليه البعث إلى خراسان فكانت إمرأته تجد بي وأنا لا أشعر، فبعث إلي يوماً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه. فمضيت إليها، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها، ودعتني إلى السوء فأبيت ذلك، فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن إنك لص. فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً. وكان القتل أهون علي من خيانة أخي. فلقيني عسس الأمير فأخذوني. وأنا أقول متمثلاً:

ربَّ بيضاء ذات دل وحسن قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن كنت ندمان زوجها فاستحييت

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه][2]

ولذلك فإن «على المجتمع الإسلامي أن يجفف منابع الشر والفساد، وأن يحمي الأزواج من الإغراء والفتنة، حفاظاً على الأسرة وصيانة لأمنها وإبقاء على قوتها»[3]

إن الفتنة ممكنة حتى ولو من النظرة الأولى ولذلك كان النهي عن المتابعة في النظر.

ولأن قضية الفتنة غير معروفة المكان والزمان والظروف التي يمكن أن تحدث فيها منع الإسلام كل ما يمكن أن يؤدي إليها. [فالمقصود الحقيقي إذن من مثل هٰذه

---

(١) حسن الأسوة ١٠٠
(٢) أخبار النساء ٥٢.
(٣) الأسرة في الإسلام ٩٠

الأحكام هو التقليل من مظان الفتنة، ولذلك منع النبي ﷺ فاطمة بنت قيس من أن تعيش في بيت كان إمكان الفتنة فيه أكثر وأذن لها أن تقيم حيث كان لمكانها أقل، والمرأة لم يكن لها بد من بيت تقيم فيه][1].

---

(١) الحجاب ٢٨٧.

الباب الأول

مهمات الإنسان الأساسية
وصلتها
بعلاقة الرجل بالمرأة

الباب الأول
مهمات الإنسان الأساسية

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وجعل له أهدافاً ومهمات أهمها:

١ ـ الخلافة: قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ البقرة ٣٠.

٢ ـ العبادة: قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات ٥٦.

٣ ـ الدعوة: قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ آل عمران ١٠٤

٤ ـ الشهادة: قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ البقرة ١٤٣.

١ ـ مهمة الخلافة:

لمهمة الخلافة صلة أساسية بعلاقة الرجل بالمرأة، فعلاقة الرجل بالمرأة هي أساس حدوث الخلافة ونقاط البحث هنا في الأمور اللازمة لحدوث الخلافة مما يخص علاقة الرجل بالمرأة.

ولوازم الخلافة هي:

أ ـ حفظ النسل واستمراريته.

ب ـ وجود أسباب تحبب في النسل وتجمع الرجل والمرأة.

ج ـ وجود الإستقرار في حياة الرجل والمرأة.

أ ـ حفظ النسل واستمراريته:

[فالإنسان منه نوعان: رجل وامرأة، الرجل له مهمة والمرأة لها مهمة، إذن ليسا متعاندين ولا متعارضين ولكنهما متكاملان][1]. [وحين ينظر المرء في الأوضاع العضوية التي تفرق بين تكوين الرجل والمرأة نظر تأمل واعتبار، ولا سيما في وظيفة الرحم، يحكم بصفة قاطعة أن الطبيعة لم ترد بشيء من هٰذه الفروق الأصلية أن يقضي الزوجان أي لذة جنسية، بل أرادت ضرباً من «التكاثر» يستمر به بقاء النوع البشري للحكمة التي أرادها الله من خلقه.. أما اللذة الجنسية فليست من مقصود الطبيعة في هٰذه الفروق الواضحة بحال من الأحوال.. ولكنها أريدت ليساق بها الإنسان سوقاً إلى تحقيق مراد الطبيعة الذي هو إستمرار النوع البشري][2]

[وهٰذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان ولن تتغير حتى تقوم الساعة ﴿ألم يك نطفة من مني يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ القيامة ٣٧-٣٩. ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله﴾ الروم ٣٠. ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ فاطر ٤٣][3].

[ولقد قرر القرآن الكريم أن الغاية من المباشرة الجنسية ليست تحصيل الشهوة، بل إنجاب النسل في قوله تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي ابتغوا ما كتبه الله لكم من النسل»] [إن الله عز وجل سلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً واستبقى[4] بها نسلهم إقهاراً وقسرا][5].

---

(١) المرأة كما أرادها الله ٣٤.

(٢) المرأة بين البيت والمجتمع ٤١.

(٣) التبرج ١٧.

(٤) المرأة بين البيت والمجتمع ٤٢.

(٥) إحياء علوم الدين ٢١/ج٢

وجعل ذلك ضمن إطار الأسرة بالحلال. [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» أخرجه الترمذي وأبو داود].[1] والعاهر: الزاني وقوله: للعاهر الحجر: أي أن الزاني له الحجر، يرجم به إن كان محصناً، وقيل: معناه: له الخيبة [فكم يتعلق بالزنا من لا يفي معشار عشرها بلذة لحظة، منها هتك العرض بين الناس، وكشف العورات المحرمة، وخيانة الأخ المسلم في زوجته، إن كانت متزوجة وفضيحة المزني بها وهي كأخت له أو بنت. فإن علقت منه ولها زوج ألحقته بذلك الزوج، وكان هذا الزاني سبباً في ميراث من لا يستحق، ومنع من يستحق.

ولولا تركيب الشهوة لم يقع الوطء، لأنه التقاء عضوين مستحسنين ولا صورتها حسنة ولا ريحها طيب. وإنما الشهوة تغطي عين الناظر ليحصل الولد أصلاً، فهي عارض. فمن طلب الشهوة ونسي جنايته بالزنا فما رأى الأشياء على ما هي.][2].

ب ـ وجود أسباب تحبب في النسل وتجمع الرجل والمرأة:

والسبب الرئيسي في ذلك هو الرغبة الجنسية. [فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي الألباب منكن» من حديث أبي سعيد، رواه مسلم وإنما ذلك لهيجان الشهوة][3] إذ [أن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص][4] أجل.. لتحقيق الخلافة وإرغام الإنسان على التناسل أوجد الله الميل والعاطفة عند الرجل نحو المرأة، وعند المرأة نحو الرجل وذلك على شكل دافع جنسي أو غريزة جنسية والتي لولاها لما أقدم كثير من الرجال على تحمل أعباء الزوجية من نفقة ورعاية وتربية للأولاد ومصاعب في الحياة.

---

(١) حسن الأسوة ٤٥٣.
(٢) صيد الخاطر ٥١٨
(٣) الأحياء ٢٩/ ج ٢
(٤) الإحياء ٩٧ /ج ٣

وتحت ضغط هٰذه الغريزة يتحرك الرجل والمرأة فأما [الذكر فهو دائماً خاضع لحافز قوي يأمره بعنف ويهيمن عليه بشدة ويحفزه بإلحاح وهو حافز الشهوة العمياء][1] [ولا تقل الأنثى عن الذكر في درجة الإشتياق والتعلق فهي أشد منه شوقاً وأكثر منه تلهفاً عليه][2].

إن [تلك الجاذبية المودعة في الذكر للأنثى، وتلك المودعة في الأنثى للذكر وقد ألقت عصاها في نفسيها فكلاهما مشدود للآخر منجذب إليه طائراً عائفاً متلهفاً لأليفه ليكمل به نفسه، هٰذه الجاذبية لم نلق لها تعليلاً مقبولاً.

علماء الطب يقولون إن الرغبة الجنسية هي إحساس عضوي بالنقص كالإحساس بالجوع والإحساس بالعطش وهي حاجة يشعر الجسم نحوها بضرورة الإكتمال.. ويستطيع الجائع جنسياً أن يعيش حقباً طويلة دون أن يضيره أذى.. كما عزا علماء الطب تلك الرغبة إلى الهرمونات الجنسية في الذكر التستوستيرون» وهرمون «البروجستيرون» في الأنثى. لكن لنوضح هٰذا الموضوع نقول إننا لن نزيده إلّا إبهاماً وغموضاً][3].

إن [فائدة المنكح من وجهين: أحدهما: إبقاء الجنس، وهو معظم المقصود والثاني: دفع الفضلة المحتقنة المؤذي احتقانها. ولولا تركيب الهوى المائل بصاحبه إلى النكاح ما طلبه أحد، ففات النسل وأذى المحتقن][4].

وإنه [لولا الإستقرار لكان الزواج حمقاً، ولولا العاطفة لكان إنجاب الأولاد جنوناً ولولا الدين لكان إنشاء البيت عبثاً وسخفاً][5].

يقول الإمام الغزالي رحمه الله [أعلم أن هٰذه الشهوة هي أغلب الشهوات

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ١٣٤.
(٢) الإعجاز الطبي في القرآن ١٣٤.
(٣) الإعجاز الطبي في القرآن ١٣٥.
(٤) صيد الخاطر فصل ٧٥ ص ١٤٢.
(٥) هكذا علمتني الحياة فصل ٣٥٣.

على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من إقتحامه، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه][1].

ويقول الأستاذ المودودي رحمه الله [وأما الإنسان فهٰذا الميدان فيه ليس يحده حد ولا يضبطه ضابط، وهو أكثر وأشد فيه منه في سائر الأنواع فلا يقيده وقت من أوقات الليل أو النهار، ولا فصل من فصول السنة الأربعة. ثم ليس في جبلته قوة وازعة تقف به عند حد يعينه بل الرجل والمرأة يميل أحدهما إلى الآخر ميلاناً دائماً أبدياً، وقد ركب فيهما ما لا يعد ولا يحصى من أسباب الجذب والإنجذاب الصنفي، واشربا ما في قلوبهما حب الجنس الآخر والولع به][2] [ولأن الفطرة لم تجعل اللذة والمتعة شيئاً مقصوداً بذاته في حال من الأحوال. وإنما هي تضع اللذة في عمل من الأعمال، حفزاً للإنسان والحيوان عليه، لتحقيق مقصود أسمى وأجل وحتى يقوموا بهٰذه الخدمة راضين، شاعرين بأنهم يفعلون ذلك لمصالحهم، لا لمصالح غيرهم][3][وإن هٰذه العلاقة الجنسية لا تقتضي المودة بين الزوجين فحسب، بل تقتضي مع ذلك أن تكون لكليهما صلة روحية عميقة بالولد الذي ينتج عن تلك العلاقة الودية بينهما][4]

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ الروم ٢١.

وقال تعالى: ﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً﴾ ١٨٩ الأعراف.

وقال تعالى: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ الأعراف ١٨٩.

ولقد ورد في معنى [«إن كيدكن عظيم» وصف كيدهن - أي جنس النساء - بالعظيم لأنه منهن أعظم من كيد جميع البشر في إتمام مرادهن، لا يقدر عليه

---

(١) الإحياء ١٠١/ ج ٣
(٢) الحجاب ١٣٧.
(٣) الحجاب ١٣٩.
(٤) الحجاب ٢٢٤.

الرجال في هٰذا الباب، فإنه ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس. وعن بعض العلماء: إني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وقال للنساء: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة، وهن يواجهن به الرجال. وقال الحفناوي: هٰذا فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة لا أنه عظيم على الاطلاق، اذ الرجال اعظم منهز في الحيل والمكايد في غير ما يتعلق بالشهوة][1].

ولاستثارة هٰذه الرغبة الجنسية التي تؤدي إلى ميل كل طرف نحو الآخر ومن ثم للنسل وتعمير الأرض، وتحقيق الخلافة فقد [أودعت رنة صوتهما ومشيتهما وحركاتها ولفتاتهما قوة أخاذة][2] وإن [السبب في انبعاث هٰذا الشوق المفرط في النساء إلى التجمل والتأنق وانتشاره فيهن كانتشار الداء والوباء، أليس هو حرصهن على أن يحلون في أعين الرجال ويقعن منهم موقع الإعجاب والإستحسان][3]

قال تعالى في بيان تزيين وتحبيب النساء للرجال: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء**﴾ آل عمران ١٤.

[المراد بالناس: الجنس. والشهوات: جمع شهوة، وهي نزوع النفس إلى ما تريده وتوقانها إلى الشيء المشتهى. والمراد هنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مرغوباً فيها أو تحقيراً لها. «من النساء» بدأ بهن لكثرة تشوق النفوس إليهن والإستئناس والإلتذاذ بهن، لأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الإفتتان][4]. أجل تحقيقاً للخلافة [ولهٰذا السبب وحده قد جعل الميلان الجنسي في الإنسان أضعاف ما فيه من قوة الجماع][5]

يقول الإمام الغزالي [إعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين: إحداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت

(١) حسن الأسوة ١٠٢
(٢) الحجاب ١٣٨
(٣) الحجاب ٢٩٤.
(٤) حسن الأسوة ٤٩.
(٥) الحجاب ١٤٠.

أقوى لذات الأجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد، والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق. الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود فهٰذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الإعتدال][1]

[إن العلاقة الجنسية وما يتقدمها من المبادىء والحوافز، كل واحد منها قد جعلته الفطرة لذيذاً ممتعاً ولكنها لم تجعل هٰذه اللذة فيه إلا لتحقيق مقصدها وهو إنشاء التمدن][2].

ولكي تتم تلبية حاجات هٰذه الغريزة الجارفة وتحقيقاً للخلافة في إطار من الأمان والإستقرار والتتابع على مر الأجيال كانت ضرورة وجود الأسرة وانحصار هٰذه العاطفة ضمن هٰذا الإطار. **﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾** المعارج ٣١. **﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾** المعارج ٢٩+ ٣٠. أجل [في نطاق هٰذا التصور لطبيعة الإنسان ولاحتياجاته الفطرية ولضرورة تحقيق التوازن في إشباعاته النفسية والحسية، يعتبر الإسلام الغريزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية في تركيب الإنسان يجب أن يتم تصريفها والإنتفاع بها في إطار الدور المحدد لها شأنها في ذلك شأن سائر الغرائز الأخرى][3] ولذلك كان [واجب لا محالة على الرجل الذي يلقح إمرة من النساء أن يشاركها أيضاً في القيام بتبعات الأمر][4] ومع تحمل المسؤولية فإن الزواج بإمرأة أو أكثر هو العلاج لهٰذه العاطفة الجارفة ذلك أن [العلاج الإسلامي بالنسبة لسائر المعاصي يكمن في مزيد من الإبتعاد عنها والإستعلاء فوقها. أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الإرتواء منه

---

(١) إحياء علوم الدين ٩٦ /ج ٣

(٢) الحجاب ١٤٥

(٣) الإسلام والجنس ٢٦.

(٤) الحجاب ١٥٢.

وإمتاع الغريزة به ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لا يتجاوزها](1) [فإن الإنسان المكون من النوازع المادية والروحية والمتطلبات البدنية والنفسية لا يمكن أن ينعم بالراحة والإطمئنان ما لم يحقق إشباع احتياجاته الفطرية كلها](2)

يقول فرويد [إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي](3) وأنا أقول بالحلال وضمن إطار الدين وبما لا يجعل الإنسان مستعبداً لشهوته. إن الرغبة الجنسية هي أساس علاقة الرجل بأي إمرأة وعلاقة المرأة بأي رجل إلا المحارم. وهذه الرغبة جارفة وقوية ولذلك وجب ضبطها ضمن الإطار الشرعي لتؤدي غرضها الأساسي.

جـ - وتحقيقاً للخلافة كذلك لا بد من وجود الإستقرار في حياة الإنسان والحيلولة دون عدم تحقيق أهداف الخلافة أو تعكير أجواء تحقيقها، فإن الإسلام رغم سماحه للرجل بالخروج للعمل، ورغم إمكانية تعرضه للفتنة لكنه حرم الزنى وشدد في عقوبته لأنه طريق شاذ للعلاقة بين الرجل والمرأة، ليس فيه مسؤولية، ويعتمد على النزوة العابرة أو الرغبة الطارئة وليس فيه أي نوع من الإستقرار للرجل أو المرأة. إن الزنا صورة الإستغلال الرخيص من قبل أحد الطرفين للآخر أو صورة من أقذر صور تبادل المصلحة، وهو صورة معبرة عن القلق وعدم الإستقرار في حياة الرجل والمرأة. ولذلك [كان تعليم الإسلام الخلقي يصلح المرء في باطنه، حتى لا ينشأ فيه ميل إلى الإثم والمعصية، وكان قانون العقوبات الإسلامي يصلحه من الخارج، يكبت بالعنف ما ينشأ في نفسه من نزعات الفجور لنقص تربيته الخلقية.](4) قال تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ النور ٢. [والزنا هو وطء

---

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله ١٨.
(٢) الإسلام والجنس ١٣.
(٣) نفس المصدر ١٨.
(٤) الحجاب ٢٦٩.

الرجل المرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح، وقيل: هو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً. والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منها، كما تنبىء عنه الصيغة، لا المكرهة، وتقديم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع](1).

روى الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ أنه قال «إياكم والزنى فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمٰن، ويسبب الخلود في النار».

[وذكر الزنا عند يحيى بن خالد بن برمك فقال: الزنى يجمع الخصال كلها من الشر. لا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا محافظة على صديق، الغدر شعبة من شعبه، والخيانة فن من فنونه، وقلة المروءة عيب من عيوبه، وسفك الدم الحرام جناية من جناياته](2)

[فكل المعاصي قبيحة، وبعضها أقبح من بعض. فإن الزنى من أقبح الذنوب، فإنه يفسد الفرش، ويغير الأنساب، وهو بالجارة أقبح](3).

وقد يعيش الرجل مع المرأة كما يحدث في أوروبا لمدة طويلة، ولكن، أي وجه من الإستقرار أو السعادة يلاقي هؤلاء سوى متعة الجنس؟ إنهم يعيشون مع بعض ولكنهم معرضون لأن يترك أحدهم الآخر لأتفه الأسباب، إذ لا يحس بمسؤولية نحو الطرف الآخر أو ارتباط، الأساس في هذه العلاقة هو الجنس، وإذا ما انتهت الرغبة الجنسية عند أحد الطرفين انتهت العلاقة وبالتأكيد فإن هذه العلاقة إلى انتهاء فالنفس تطمح دوماً نحو الجديد ومع شعورها بعدم الإلتزام فهي إلى الهروب أقرب، كما أن مزاج أي منهما قد يتغير وبالتالي يترك أحدهما الآخر دون تردد أو مراعاة للطرف الآخر وأما إن وجد أحدهم بديلاً فإنه لن يتورع عن ترك الآخر ولو بعد فترة قصيرة من العلاقة الأولى. وأما إن كان نتاج هذه العلاقة

(1) حسن الأسوة ١٢٥.
(2) أخبار النساء ١٧٠
(3) صيد الخاطر فصل ٢٠٢ ص ٣٣٧.

أطفال، فهم في تهديد دائم وهم مرهونون بذهاب إعجاب طرف آخر، وتتحمل المرأة غالباً المسؤولية وحدها في أجواء من القسوة المادية والصراع من أجل لقمة العيش. [فالخليلة المقيمة والخليل المقيم لا يعطي أحدهما الآخر سكناً ولا استقراراً، لأن تلك العلاقة مهما طالت فإنها محفوفة بالخوف من المجتمع، مهددة بفساد العلاقة وتحولها من المودة والرحمة إلى الإبتزاز والخداع واللؤم والنفعية، وهذا وحده كفيل بهدم روح الإستقرار في النفس، مع عدم الشعور بوثاقة الرابطة بينهما، لأن هذا النوع من الناس ذواق للمتعة لا يستقر على حال][1]. وبذلك الأسلوب [فالزوجية صارت إلى مشاركة في السكنى أو في النفقة أو فيهما معاً دون إلتزام بسلوك معين سوى سلوك الهوى والرغبة][2].

إن الزوجية أساس الإستقرار وضمن هذا الإطار فإن كل عائلة تحمل صفات وراثية وخلقية ونفسية تميزها عن غيرها، وإن العائلة أو العشيرة يمكن أن تحمل أهدافاً خاصة تتناقلها عبر الأجيال، وإن حفظ النسل هو الأسلوب الأمثل لتناقل هذه الأهداف وتحققها مع أهداف الخلافة الأخرى، فإن حفظ النسل ضمن إطار الزواج والأسرة ينشىء نوعاً من الإلتزام لمجموعة معينة ولأهدافها. ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ الحجرات ١٣، وبوجود الأسرة يكون هناك نوع من الولاء الإقتصادي والإجتماعي والنفسي لمجموعة بشرية معينة يتحمل مسؤوليتها وتتحمل مسؤوليته وترثه ويرثها، وهذا الولاء مفروض عليه لا ينفك منه مهما حاول، وبذلك يتحقق نوع من الإستقرار الإقتصادي والإجتماعي والنفسي. [فما كانت الفطرة لترمي من وراء هذه العاطفة الشديدة من الحب إلا أن تحوّل التعلق الجنسي بين الرجل والمرأة إلى رابطة أبدية. ثم تتخذ هذه الرابطة أداة لإنشاء العائلة، ثم تمضي هذه السلسلة من حب الأقارب والأدنين تربط كثيراً من العائلات بأصرة الصهر، حتى تشترك في الحب والأحباء، فيحملها هذا الإشتراك على التعاون

---

(١) اللقاء بين الزوجين ٢٧.

(٢) الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ٤٢.

والتعامل. وبذلك يقوم نظام التمدن][1] [فقرابات الرحم وأواصر الصهر والأنساب هي في الحقيقة مؤسسات بدائية طبيعية للتمدن الإنساني، ويتوقف قيامها على أن يكون الأولاد من الآباء المعروفين المعلومين، وتحفظ الأنساب من الخلط والزيف][2].

[ومن مقتضى الفطرة الإنسانية أيضاً أنه إن ترك الإنسان من ورائه شيئاً كسبه بكد يمينه وعرق جبينه يتركه لأولاده وأقاربه الذين بقي طول حياته مرتبطاً بهم بقرابات الرحم والدم. ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ الأنفال ٧٥ ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ الأحزاب ٤ ويؤخذ من ذلك أن حفظ الأنساب مما تستلزمه قسمة الميراث أيضاً][3]

قال تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ الشعب ـ بالفتح ـ الحي العظيم مثل «مضر» و«ربيعة». و«القبيلة» دونه، كبني بكر بن ربيعة، وبني تميم من مضر (لتعارفوا) أي خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً. والفائدة في التعارف أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبة ولا يعتزي إلى غيره، ويصل رحمه، وتقع الدية على العاقلة ونحوها.

والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة، لا للتفاخر بالأنساب، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن. ثم علل ـ سبحانه ـ ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. أي إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبّس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرماً، ولا يثبت شرفاً، ولا يقتضي فضلاً.][4] [إنما تفرقوا من

---

(١) الحجاب ١٤١.

(٢) الحجاب ٢٢٥.

(٣) الحجاب ٢٢٥.

(٤) الدين الخالص ٤٣٠ /ج ٤

جهة الله وكانوا شعوباً وقبائل، لحكم ومصالح، لا بد منها في هٰذه الدار، وهي صلة الأرحام وتأدية الديات، والإحتفال بذوي القرابة من الأقوام، لا لأن يفتخر أحد على أحد، ويزدري بعضهم بعضاً في النسب، فإن هٰذا من عادة الجاهلية، والإسلام جاء لمحوها وعفوها، لا لإثباتها وإبقائها][1].

[ولم يدرِ هؤلاء المساكين أنه لا شفاعة لأحد عند الله إلا بإذنه ولا نجاة لفرد إلا بفضله. وهٰذا النسب وهٰذا الفخر به لا ينفعهم في الدنيا عند الناس أصلاً، فكيف في الآخرة عند رب الناس؟! بل أصحاب الأنساب العالية، إذا فعلوا سيئات، صاروا أحقاء بتضعيف العقاب بنص السنة والكتاب. أما نص السنة، فقوله ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» وأما نص الكتاب، فقوله سبحانه: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ فالتعزير على قدر التكبير.][2]

إن الزواج عنصر أساسي من عناصر الإستقرار النفسي وفي هٰذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله [ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذا روّحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الإستئناس بالنساء من الإستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون لنفوس المتقين إستراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى ـ ﴿ليسكن إليها﴾][3].

وإن من عوامل الإستقرار الإجتماعي تنظيم العلاقة بين الطرفين [فعن عمرو بن الأخوص الجشمي: «أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ. ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن

(١) الدين الخالص ٤٤٠ /ج ٤
(٢) الدين الخالص ٤٣٥ /ج ٤
(٣) الإحياء ٣١ /ج ٢

أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن: أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون. ألا وحقهن عليكم: أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه إبن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. عَوان بفتح العين، أي: أسيرات.][1].

٢ ـ مهمة العبادة

ومن المهمات الأساسية للمسلم وللإنسان عموماً العبادة، وللعبادة علاقة وثيقة بعلاقة الرجل بالمرأة فإنه لتحقيق العبادة وديمومتها على وجه الأرض كان لا بد من النسل ولتحقيق العبادة كان لا بد من حد أدنى من الإستقرار حتى تكون العبادة خالصة مستمرة نقي من شوائب الإنشغال. ففي رواية البيهقي [قال رسول الله ﷺ «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي»][2].

[وقال إبن عباس رضي الله عنهما: «لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج» يحتمل أنه جعله من النسك وتتمة له، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريباً وغيرهما ويقول إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه، وكان إبن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبقَ من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزباً ومات إمرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضاً مطعوناً فقال: زوجوني فإني أكره أن ألقى الله عزباً وهذا منهما يدل على أنهما رأيا في النكاح فضلاً لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد.][3] [وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: «جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن

---

(١) حسن الأسوة ٤٩٧.

(٢) حسن الأسوة ٤٦٩.

(٣) إحياء علوم الدين ٢٣ /ج ٢

من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء الرسول ﷺ إليهم فقال: أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني][1]

إن الإسلام يعتبر لقاء الرجل مع زوجه جزءاً من هذا الإستقرار وجزءاً من العبودية التي يؤجران عليها وبذلك تتوافق الخلافة مع العبادة، قال تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ المؤمنون ٢ فالخشوع يحتاج إلى صفاء في النفس واتصال بالله وبعد عن شواغل الدنيا والتي أقواها على بني الإنسان رغبته في الجنس الآخر. [عن أبي ذر في حديث يرفعه «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ قالوا نعم. قال: كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» أخرجه مسلم والترمذي. وهذا من تمام رحمة الله على عباده وإمائه، يثيبهم على ما فيه قضاء شهوتهم، إذا نووا أداء حق الزوجة وصون الفرج][2].

وبذلك ينطلق المسلم في ضوء من هدي ربه ثم استقرار نفسه وبيته وأمنه واطمئنانه لتحقيق مهامه الأخرى وهي الدعوة والشهادة.

٣ ـ مهمة الدعوة:

فينشر المسلم دعوة ربه الإسلامية العظيمة وذلك ممهد لمهمته الأخرى وهي الشهادة.

٤ ـ مهمة الشهادة:

وهي الشهادة على الناس في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

---

(١) الإسلام والجنس ٣٤.

(٢) حسن الأسوة ٣٩٠ + ٣٩١.

الباب الثاني

أهداف الزواج الإسلامي
(العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة)

١ ـ تحقيق معنى الخلافة

٢ ـ عدم الوقوع في الحرام

٣ ـ تنشئة الأطفال في البيئة الإسلامية النظيفة، مع الإعداد الدعوي والجهادي لأبناء الأسرة.

٤ ـ سعادة الرجل والمرأة وأساسها الراحة النفسية.

أهم أسس الراحة النفسية:

أ ـ طمأنة الرجل والمرأة على:

١ ـ الرزق.

٢ ـ الأجل.

٣ ـ سير الأقدار.

ب ـ وضع أسس الإستقرار وأهمها:

١ ـ إباحة الرؤية للطرفين قبل الزواج

٢ ـ التشجيع على الزواج من البكر.

٣ ـ إيجاب إيفاء الشروط.

٤ ـ التدابير الوقائية لمنع الفتنة وانتشارها ولحماية المجتمع والأسرة والتدابير العلاجية للإنحراف.

٥ ـ توافق الدين والمكافأة بين الأزواج

٦ ـ الرضى بقدر الله في شريك الحياة.

أهداف الزواج الإسلامي:

إن الأهداف الإسلامية المقصودة من العلاقة بين الرجل والمرأة والتي جعلها الإسلام ضمن إطار الأسرة كثيرة أهمها:

تحقيق معنى الخلافة:

وذلك بحفظ النسل واستمراريته ليتتابع إعمار الأرض عبر الأجيال وتحقيق الهدف من خلق الإنسان.

٢ ـ عدم الوقوع في الحرام:

إن الإسلام يحرص على سعادة المسلمين في الدنيا والآخرة، ويعتبر الآخرة هي الأهم، ولذلك منعهم من الوقوع في الحرام ومنع كل ما يقود إليه في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة حتى لا يخسر المسلم من دينه قال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ الحشر ٧. [وعن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم] رواه البخاري ومسلم.

وقال تعالى: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ الإسراء ٣٢ وقال رسول الله ﷺ [لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن] وقال تعالى: ﴿**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**﴾ المؤمنون ٧. وقال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ ٣٠ النور. وقال تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ المؤمنون ٥. وحرصاً من الإسلام على المسلم أن يخسر آخرته ورغم تحريمه أموراً كثيرة لكن [الإسلام الذي حظر قضاء الشهوة في غير الحلال وسد عليها كل

متنفس منشأ أن تتنفس في حرام يرمي من وراء هٰذا إلى تسيير الغريزة في طريقها الطبيعي وهو الزواج المشروع الذي به بقاء النوع وإكثار النسل والحياة الهانئة الوادعة][1] [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم . . . الحديث. وفيه: والناكح الذي يريد العفاف» رواه الترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، وإبن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم .][2] [عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء»] أخرجه مسلم والنسائي. وعنده: فما تركت بعدي فتنة أضر عى الرجال من النساء.][3] وقال ﷺ [من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء] متفق عليه من حديث إبن مسعود وهٰذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال ﷺ «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» رواه الترمذي وحسنه أيضاً تعليل الترغيب لخوف الفساد فكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج أحدهما][4] ولشدة تأثير هٰذه الغريزة على الإنسان منع الإسلام كل ما يقرب بين الإنسان المسلم وإثارة هذه الغريزة [فالحق الذي عرفنا، وعرف غرائزنا، وعرف عواطفنا، وعرف مشاعرنا، وأحاسيسنا، يقول سأتدخل في هٰذه المسألة من أول خطوة، ولا أتركك تدرك حتى لا تجد في نفسك، بعد ذلك إن تركتك تدرك وتجد في نفسك، لا أستطيع أن أتدخل في عملية النزوع، لأن هٰذه عملية صعبة، وخصوصاً فيما يتعلق بالغرائز فرحمة بك، أنا سأتدخل من أول الأمر فأقول لك من أول الأمر: لا

(١) رحمة الإسلام بالنساء ٣٠
(٢) حسن الأسوة ٤٦٩.
(٣) تيسير الوصول ١٣٢ /ج ٢
(٤) إحياء علوم الدين ٢٣ /ج ٢

«بلاش ادراك» لأنك ستتعب نفسك][1] ولذلك منع الإسلام أي خلوة بين الرجل والمرأة.

فعن إبن عمر رضي الله عنهما [قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كقيام رسول الله ﷺ فينا. قال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة: فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن] أخرجه الترمذي وصححه[2].

ومن أجل عدم الوقوع في الحرام وضع الإسلام أسساً وقائية وعلاجية، وهذه الأسس الوقائية والعلاجية كما أنها تمنع من الوقوع في الحرام إلا أنها تحول بين المسلم والفتنة وبين الأسرة والدمار وبين المجتمع والإنهيار وأهم هذه الأسس الوقائية والعلاجية:

أ ـ تربية الرجل والمرأة منذ الصغر على الإسلام عموماً وعلى العفة والطهارة والحياء.

ب ـ الحض على الزواج وتيسير أموره والحض عليه مبكراً.

جـ ـ التحذير بصورة عامة من فتنة النساء.

د ـ الصوم في حال عدم القدرة على الزواج.

هـ ـ إباحة التعدد والطلاق درءاً لمفاسد الإنحراف الناتج عن عدم الإتفاق بين الزوجين أو كثرة النساء في المجتمع أو عن رغبة الزوج في أكثر من إمرأة أو حاجته لذلك.

و ـ وضع أسس إدارة البيت بجعل القوامة للرجل مع بيان أسس التعامل بين الزوجين وحقوق كل منهما وواجباته.

ز ـ إغلاق كل منفذ للفتنة في المجتمع وجعل الفتنة في أضيق حدودها.

---

(١) المرأة كما أرادها الله ٢٨ + ٢٩.

(٢) تيسير الوصول ٥١ /ج ٣.

ح ـ فرض حد الزنى في حال ارتكاب هٰذه الجريمة كعقوبة للفاعل وتطهير للمجتمع وتخويف للآخرين.

ط ـ فرض أوامر تحكم سلوك الرجل والمرأة والأسرة والمجتمع وهٰذه الأوامر:

١ ـ تحريم النظر.
٢ ـ منع دخول أقارب الزوج لبيته في حال غيابه.
٣ ـ منع الخلوة بين الرجال والنساء.
٤ ـ فرض الحجاب على نساء المسلمين والأمر بتغطية النحور.
٥ ـ التشديد على خروج المرأة عموماً ومنعها من الخروج بغير إذن زوجها.
٦ ـ وضع أسس دخول البيوت مثل:
أ ـ الإستئذان.
ب ـ عدم النظر داخل البيوت ومنع التلصص
جـ ـ عدم تسور البيوت.
د ـ الرجوع في حالة عدم الإذن بدخول البيت.
٧ ـ منع النساء من التعطر خارج البيت.
٨ ـ منع النساء من التبرج وإبداء الزينة أمام غير المحارم.
٩ ـ منع النساء من الخضوع في القول.
١٠ ـ منع النساء من النمص ووصل الشعر أو تفليج الأسنان.
١١ ـ وضع أسس الإستئذان داخل البيت بين الرجال والنساء.
١٢ ـ منع النساء من وصف الأخريات أمام أزواجهن.
١٣ ـ منع المخنثين من الدخول على النساء.
١٤ ـ منع الأزواج من نشر ما يجري بينهم أمام الآخرين.
١٥ ـ تجنب النساء لمزاحمة الرجال في الطرق وعند الخروج من المساجد.
١٦ ـ منع الرجل من السير بين النساء.
١٧ ـ منع المرأة من السفر دون محرم.
١٨ ـ التفريق بين الأولاد والبنات في المضاجع بعد سن السابعة.
١٩ ـ التنبيه إلى أن شر الأماكن الأسواق لاختلاط الرجال فيها بالنساء.

٢٠ ـ الأمر بإعفاف المرأة جنسياً وعدم معاملتها في هٰذا الأمر كالبهيمة.
٢١ ـ تفضيل الصفوف الأولى للرجال في المسجد والصفوف الأخيرة للنساء على غيرها من الصفوف.
٢٢ ـ منع المرأة من العمل إلا لضرورة.
٢٣ ـ تفضيل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد.
٢٤ ـ منع إمساك المرأة للضرار.
٢٥ ـ عدم إكراه الفتاة على زوج لا تريده وأن تستأمر في زواجها.
٢٦ ـ منع الرجال من السكوت على فساد بيوتهم وتكليفهم بوقاية أهليهم من الفساد.
٢٧ ـ منع إكراه الجواري على البغاء طلباً للمال.
٢٨ ـ إباحة طلاق الزوجة من الزوج العنين (غير القادر عن الأداء الجنسي) مع ضرورة كشف عيوب الطرفين الخلقية قبل الزواج.
٢٩ ـ البعد عن الزوجة المشركة أو خضراء الدمن وعن الزوج المشرك.
٣٠ ـ الأمر بتخير المرأة الصالحة الودود الولود صاحبة الدين.
٣١ ـ عدم القدوم على الزوجة ليلاً وإتاحة الفرصة لها لتجهيز نفسها استعداداً لمقدمه.
٣٢ ـ تحريم إظهار العورة على غير الأزواج والمحارم كل حسب ما يحل له.
٣٣ ـ عدم مواعدة الأرملة بالزواج أثناء عدتها وكذلك المطلقة والبكر.
٣٤ ـ عدم خطبة الأرملة في عدتها.
٣٥ ـ أمر الطرفين بالتجهز لبعضهما حتى لا يرى أي منهما ما ينفره من الآخر وأمرهم بحلق العانة والتطيب.
٣٦ ـ تشديد التحريم والتشنيع على الزنا بالمحارم والجارات.
٣٧ ـ منع لمس المرأة التي لا تحل ومنع مصافحتها.
٣٨ ـ تحريم الإختلاط بين الرجال والنساء.

كان هذا عرضاً لهذه الأسس الوقائية والعلاجية التي تصون المسلم من الوقوع في الحرام وتمنع الأسرة من الدمار والمجتمع من الإنهيار وتضع حواجز بين المسلم والإفتتان، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أ ـ حض الإسلام على التربية على الإسلام والعفة والطهارة والحياء منذ الصغر. [عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من كانت له إبنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو كهاتين] وعن إبن مسعود رضي الله عنه قال: [سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه»] أخرجه الشيخان والترمذي[1].

ب ـ تيسير أمر الزواج والحض عليه والأمر به مبكراً، والحث على تزويج المرأة إذا جاءها من ترضاه [قال النبي ﷺ: «خير النكاح أيسره»] أخرجه أبو داود[2] ولقد كان هذا التيسير حتى لا يبدأ الزواج بأعباء مادية كبيرة وديون يتحملها الزوج ويشعر معها بثقل الزوجة التي كانت سبباً في عنائه هذا وبالنقمة على المجتمع أو الدين الذي أباح مثل هذه المغالاة. [عن عبدالله بن عامر عن أبيه «أن إمرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال رسول الله ﷺ: أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟ قالت: نعم. فأجازه النبي ﷺ. أخرجه الترمذي وصححه[3]. [وعن إبن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «الشؤم في المرأة والدار والفرس» متفق عليه وفي رواية «الشؤم في ثلاثة: في المرأة والمسكن والدابة». وشؤم المرأة: أن لا تلد، وقيل: غلاء مهرها، وسوء خلقها][4]

[ويرى الطب الحديث الزواج المبكر ضرورة لا مندوحة عنها ولا بديل لها ولا غنى إلا بها، إلا أن ظروف المجتمع الجديد لا تبيح للشاب في هذا العصر بالذات الزواج إلا بعد حين، ومن الصعب على الشاب في عصر عبثت به أسباب المدنية المتداعية، والحضارة المزيفة أن يعصم نفسه عن الزلات، وقد نجد في الطب النفسي أن الزواج علاج محتم لبعض حالات الإنطواء والكبت والعقد النفسية المختلفة وفي حالات الإكتئاب النفسي الشديد. قال تعالى ﴿وليستعفف

---

(١) تيسير الوصول ٢٨٥ // ٣

(٢) تيسير الوصول ٥٥ / ٣

(٣) حسن الأسوة ٣٣.

(٤) حسن الأسوة ٣٦٧ فصل ٢٤٦.

الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾[1] النور ٣٣.

[روى مسلم والنسائي مرفوعاً عنه ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» أخرجه مسلم والنسائي][2] [وقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»].

ج ـ التحذير من فتنة النساء عموماً: [عن أسامة ابن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» خرجه الشيخان والترمذي] [وعن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله ﷺ: «أتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». رواه مسلم.

د ـ الصوم في حال عدم القدرة على الزواج: [قال ﷺ: ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء][3] متفق عليه من حديث إبن مسعود وإنما ذلك لكسر حدة الشهوة، وليكون المسلم أقدر على ضبط نفسه، فالصوم يعلم الصبر عن الشهوة مطلوب في كل حال.

هـ ـ إباحة التعدد والطلاق درءاً للمفاسد الناتجة عن عدم إتفاق الزوجين أو زيادة عدد النساء في المجتمع أو عن رغبة الزوج في أكثر من إمرأة أو حاجته لذلك، فإن من الرجال من لا تكفيه المرأة الواحدة، فله ما يسكّن نفسه ويحفظ عليه دينه من النساء حتى الأربع. **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾** النساء ٣ وذلك ضمن إطار العدل في النفقة والعشرة. يقول الأستاذ محمد قطب عن ضرورة الإشباع الجنسي طلباً للإستقرار والسكن [والجنس طاقة بشرية طبيعية تحتاج إلى إشباع وهي تؤدي مهمة حيوية بإشباعها فتنتج النسل الذي يعمر وجه الأرض جيلاً بعد جيل][4] فإن [من الطباع ما تغلب عليه الشهوة، بحيث لا تحصن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ١٣٧.

(٢) رحمة الإسلام بالنساء ٤٥.

(٣) إحياء علوم الدين ٢٣ /ج ٢

(٤) في النفس والمجتمع ٦٥.

إلى الأربع، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الإستبدال، فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال][1] ولكن على الزوج [أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد، ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى][2] وإن الفتنة هذه الأيام أكبر منها في العصور السابقة [فإن بلاء الرجال بما تقع عليه أبصارهم من مغريات النساء وفتنتهن، ولا يغني عن الأمر شيئاً أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامة في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال ما قد يتغلب على كل إستقامة أو عفة تتمتع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم][3] [إن الوضع الطبيعي النفسي أن المرأة تريد رجلاً مستقلاً لا تريد المشاركة فيه، فإذا ما أباح دين أن يعدد كرهت المرأة هذا الدين، فنقول لها: أيتها المرأة إفهمي جيداً أن التشريع لم يقصد به المتزوجات، إنما فلنسأت بمن تزوجت وهي المرأة الثانية، لو أنها وجدت أن تكون زوجة أولى، أكانت ترضى أن تكون زوجة ثانية؟! إذن هي قارنت أمورها وأحوالها، فوجدت أنها لأن تكون زوجة ثانية خير من أن تكون غير متزوجة، إنه لا يؤخذ في هذه المسألة رأي من تزوجت، إنما يؤخذ رأي من لم تتزوج.][4] إن التعدد والطلاق شرعا لتكون الأسرة وحدة بناء فعالة، وليتم إشراك أكبر عدد من النساء في عملية الإنجاب وإعمار الأرض، فإذا ما تعسر على الأسرة أداء هذا الدور لانحراف الرجل أو المرأة أو إذا ما تعذرت إمكانية معيشتهما معاً عند ذلك كان المخرج التعدد أو الطلاق منعاً لانحراف أي منهما، فإن من لا يجد حاجته في الأسرة قد يبحث عنها خارجها خاصة عن نقص الدين والخلق، وإن أوروبا لتعيش هذا الوضع الآن حيث أن الزوج الذي لا يستطيع طلاق زوجته أو لا يجد راحة معها يبحث عن الإرواء العاطفي والجنسي خارج الأسرة وكذلك المرأة.

---

(١) الإحياء ٣٠ /ج ٢

(٢) الإحياء ٣٧ / / ٢

(٣) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٩٨ + ٩٩.

(٤) المرأة كما أرادها الله ٤٦ + ٤٧.

و ـ وضع أسس إدارة البيت بجعل القوامة للرجل مع وضع أسس التعامل بين الزوجين وبيان حقوق وواجبات كل منهما قال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾ النساء ٥٩.

وإن هذه القوامة تضع مسؤولية على الرجل حتى يحمي بيته من عواصف الفساد وتضع مسؤولية على المرأة إذ تعرف ما عليها من واجب فتؤديه حق الأداء وبذلك يتم الإنسجام بين الطرفين وتسير الأسرة المسلمة بذلك مسيرة الإستقرار والبعد عن الحرام أو الوقوع فيه.

إن الرجل الذي يسعى لإسعاد أهل بيته ويحسن معاملتهم ويبذل كل ما في وسعه من أجلهم ليحول بينهم وبين التطلع إلى غيره أو لإيذائه في ماله أو عرضه. [وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله]. وإن المرأة التي تقوم بما عليها من واجب دون إشعار الزوج بالمنّة عليه أو التفضل ودون التعالي عليه أو تلويمه أو إرهاقه فوق ما يستطيع لتجعل الزوج دائم التطلع إلى إسعادها وإلى تحسين أوضاع بيته قدر استطاعته.

ز ـ إغلاق منافذ الفتنة والفساد في المجتمع وجعل الفتنة في أضيق حدودها، ذلك أن الإسلام حريص على إغلاق كل ما يؤدي لإفساد المجتمع كالحانات والنوادي الفاجرة وتجارة الرقيق، كما أنه حريص على تنقية الأجواء من حول المسلم وبذلك يتوجه لوسائل الإعلام لتنقيتها من الفساد والمفسدين، وبهذا تعيش الأسرة المسلمة والفرد المسلم في أجواء الطهر والعفاف فلا يعود الإنحراف سهلاً حتى لو أراده بعض الأفراد، فإن وجود أماكن الفساد العامة يجعل الفساد سهلاً على بعض النفوس الضعيفة.

إن المجتمع يجب أن يكون معيناً لضعيف الدين على حفظ دينه، لا أن يكون معيناً عليه فيسوقه إلى الفساد والإنحراف سوقاً. إن مجتمعاتنا الحالية لتغري بالتقي لكي ينحرف، فكيف بضعاف الدين أو قليلي الحظ من التقوى؟ يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه السلام العالمي والإسلام ص ٥٦ «إن من حق الرجل كما أن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما إلى رفيقه وأن لا يتعرض للإغراء الذي قد

تنحرف معه عواطفه نحو شريكه إن لم يقده الإنحراف إلى الإنزلاق والخطيئة، مما يهدد ذلك الرباط المقدس، ويطيِّر عن جوه الثقة الكاملة والإطمئنان» «هٰذا الإنحراف في العواطف، والإنزلاق إلى ما هو أبعد، واقع كل يوم وكل لحظة في المجتمعات التي ينطلق فيها الإختلاط».

ح ـ فرض حد الزنا في حال إرتكاب هٰذه الجريمة كعقوبة للفاعل وتخويف للآخرين، مع تبشيع الإسلام لهٰذه الجريمة وتحذيره من الوقوع فيها. قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ الإسراء ٣٢. [فإن الزنى كبيرة من الكبائر التي حذر الدين الحنيف من مجرد الإقتراب منها والإقدام عليها، فهو ينهى عن المقدمات مثل القبلة أو اللمسة أو النظرة وتتلخص حكمة تحريم الزنى في الآتي. ١ ـ إختلاط الأنساب ومشاكل الميراث وهي مشاكل خطيرة العظمة عظيمة الخطورة. ٢ ـ الزانية العاهرة مرتع خصب للميكروبات والجراثيم وهي وسيلة نقل لهٰذه المصائب من شخص لآخر. ٣ ـ تفكك الروابط الأسرية والعلاقات الزوجية من جراء إنصراف الزوج على زوجته إلى غيرها وعدم إهتمامه بشؤون بيته وبالتالي ينحل الجيل الناشئ. ٤ ـ أزمة الثقة بالنفس وهٰذا يكفي فيه التلميح عن التصريح][1].

لقد شرع الإسلام حد الزنى بعد أن وضع كل التدابير الوقائية والعلاجية حماية للفرد والمجتمع، وبما لا يرهق الفرد في سبيل إعفاف نفسه، ولكن إن حاد المسلم عن الصواب والحلال إلى الحرام فإنه عندها يستحق العقاب خاصة وأنه يعيش في المجتمع المسلم الطاهر النقي، قال تعالى: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ النور ٢. وقال تعالى: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ النساء ٢٧. [وللزنى في الشريعة ثلاث عقوبات هي: الجلد، التغريب، الرجم. أما الجلد والتغريب فللزاني غير المحصن لقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. وليشهد عذابهما

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ٧٥ + ٧٦.

طائفة من المؤمنين﴾ ولقوله ﷺ: «البكر بالبكر: جلد مائة وتغريب عام» وأما عقوبة الرجم فللزاني المحصن لقوله ﷺ «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ـ والنفس بالنفس ـ والتارك لدينه المفارق الجماعة»[1].

إن المحرمات من النساء أنواع والزنى في كل نوع له بشاعة متعلقة بنوعه منها [نوع لا سبيل إلى حله البتة كذوات المحارم، فهٰذا من أضر الجماع، وهو يوجب القتل حداً عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، وفيه حديث مرفوع ثابت. والثاني ما يمكن أن يكون حلالاً كالأجنبية، فإن كانت ذات زوج ففي وطئها حقان: حق الله وحق الزوج، فإن كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق. وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق فإن كانت ذا محرم منه صار فيه خمسة حقوق، فمضرة هٰذا النوع بحسب درجاته في التحريم][2] وإن تحريم الزنى ليجعل الأسرة مستقرة وتؤدي دورها كوحدة منتجة في المجتمع مما يتناسب مع دورها في تحقيق مهمة الخلافة.

ط ـ أمر الإسلام أوامر وفرض أموراً تحكم سلوك المجتمع والأسرة والرجل والمرأة، وكلها للحيلولة دون الوقوع في الحرام تحقيقاً لاستقرار الأسرة وهٰذه الأوامر مثل:

١ ـ تحريم النظر والأمر بغض البصر: فإن النظر من أهم عوامل الإثارة والميل من الرجل نحو المرأة والمرأة نحو الرجل. يقول صاحب كتاب علم الجنس [إن عوامل الإثارة عند الرجل كثيرة وهٰذه العوامل تشمل عوامل نفسية وحسية شرطية. وعوامل الإثارة كالنظر والسمع والشم واللمس هي أمثلة من العوامل الحسية الشرطية وأما الأفكار والتخيلات حول الإتصال الجنسي فهي من النوع النفسي][3]. قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا

---

(١) الإسلام والجنس ٥٧.
(٢) زاد المعاد ١٧٧ + ١٧٨ /ج ٣
(٣) Sexology ص ٣٦ مبادىء علم الجنس.

فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ ٣٠ + ٣١ سورة النور. [وعن جرير رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «إصرف بصرك»] أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي. وعن بريدة رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية»] أخرجه أبو داود والترمذي.(١)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: [كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، فأقبل إبن أم كلثوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فدخل علينا، فقال ﷺ: «احتجبا منه» فقلنا يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه] أخرجه أبو داود والترمذي وصححه.

إن تدابير الإسلام الوقائية إنما كانت لصعوبة منع الإنزلاق إذا تعمق الرجل في علاقته مع المرأة وهذا التعمق لا يمكن ضبطه بسهولة إن تساهل الإنسان في البدايات، والوقاية خير من العلاج.

إن بدن المرأة وجسدها محرم على غير بعلها ـ وحتى مجرد النظر إليه يعتبر زنى مصداقاً لقوله ﷺ «العين تزني واليد تزني والرِجْلُ تزني» فمجرد النظرة تعتبر من عوامل الإثارة التي تسيطر على العقل وتخيم على التفكير. قال سبحانه وتعالى: **﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾** ففي قوله «ولا تقربوا» أي لا تقتربوا منه وهو نهي عن مجرد الإقتراب منه سواء بالقبلة أو باللمسة أو بالنظرة.](٢)

لكن الإسلام أباح النظر في حالات خاصة للرجل في حدود الحاجة كالطبيب والقاضي أو عند الشهادة ويورد صاحب كتاب مسؤولية التربية الجنسية في كتابه ما يتعلق بهذه المسألة فيقول: [ولكن يستثنى من هذا النظر حالات

---

(١) تيسير الوصول ٤٩ /ج ٣.

(٢) الإعجاز الفني في القرآن ١٤٩.

ضرورية وأمور طارئة نذكرها على الترتيب التالي:

١ ـ النظر بقصد الخطبة. ٢ ـ النظر بقصد التعليم: يجوز النظر إلى وجه المرأة الأجنبية من غير زينة بقصد التعليم بشرط: أ ـ أن يكون العلم الذي تتعلمه معتبراً شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا. ب ـ وأن يكون في حدود إختصاصها كتعليمها أصول التمريض وفن الولادة.]^(١) جـ ـ وأن لا يخشى من النظر إلى وجهها فتنة. د ـ وأن لا يترتب على التعليم خلوة. هـ ـ وأن لا يوجد نساء يقمن بالتعليم مقام الرجال. [ولعل معرفة الطبيب سوى غيره بدقائق التشريح الآدمي وتفاصيل خفاياه وغموضه وشحنات العلم وكتل التفكير هذا وذاك يجعله في شبقه الجنسي أقل بكثير من غيره]^(٢). [إن الحالات التي يباح النظر فيها للحاجة، هي التي يقدرها الشارع ويرخص فيها ـ لا ما نراه نحن أنه ضرورة، ونرخص فيه لأنفسنا ـ كقاض يحكم عليها، وشاهد يشهد، والخاطب الذي يريد نكاحها، والطبيب الذي يريد مداواتها أما إبن العم، وإبن العمة، وإبن الخال، وإبن الخالة، وأخو الزوج، وخال الزوج، وعم الزوج، وإبن عم الزوج، وزوج الأخت، وإبن أخي الزوج، وإبن أخت الزوج، وخال الزوج، وعم الزوج، وإبن عم الزوج، وزوج الأخت، وإبن أخي الزوج، وإبن أخت الزوج، فكل هؤلاء لا يحل لهم أن يروا من المرأة شيئاً بدعوى أنهم أقرباؤها أو أقرباؤه ـ لأنهم ليسوا من المحارم، ولا بحجة أنهم يسكنون معاً في دار واحدة، ولا بأنهم يجتمعون معاً، أو يسهرون سهرات عائلية مختلطة، ولا بعذر أنهم نشأ بعضهم مع بعض منذ الصغر، أو تربى بعضهم في بيوت بعض فهم يعرفون أفراد الأسرة إلا إذا كان بينهم رضاع بشروطه ـ كل هذه الحالات التي ذكرت لا تعتبر عذراً شرعياً، ولا ضرورات يرخص فيها للمرأة بإبداء شيء منها أبداً. فكيف باللاتي يكشفن وجوههن، ويبدين زينتهن أمام بائعي الأقمشة، والأحذية وأدوات الزينة والمساحيق، وأمام إبن الجيران، وشريك الدكان وسائق السيارة، وصديق الزوج، وأجير الخباز والفران، والمتفرد في طريق وحده.]^(٣)

(١) مسؤولية التربية الجنسية ٣٩.

(٢) الإعجاز الفني في القرآن ١٥٠.

(٣) حكم العورة ٩٠ + ٩١.

[عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان، ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال». رواه إبن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد][1] ورحم الله الإمام إبن القيم إذ يبين غوائل النظر وأحكامه في كتابه روضة المحبين أنقله هنا للعظة والتذكر:[2]

أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه

قال الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم. إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ الآية ٣٠ + ٣١ النور. فلما كان غض البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، لم يأمر سبحانه بغضه مطلقاً بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال، لا يباح إلا بحقه، فلذلك عمّ الأمر بحفظه. وقد جعل سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره، غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته. [وفي الصحيح أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف رسول الله ﷺ يوم النحر من مزدلفة. [والرديف: الراكب خلف الراكب] إلى منى، فمرت ظعن (جمع ظعينة: الراحلة يرتحل عليها، الهودج، الزوجة) يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فحوّل رسول الله ﷺ رأسه إلى الشق الآخر]. في البخاري ومسلم والترمذي وغيره. وهذا منع وإنكار بالفعل، فلو كان النظر جائزاً لأقرّه عليه. وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل كتب على إبن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرجل تزني وزناها الخطى، واليد تزني وزناها

---

(١) حكم العورة ٨٠.

(٢) روضة المحبين /إبن قيم الجوزية من صفحة ٩٢ إلى صفحة ١٠٥.

البطش، والقلب يهوى ويتمنى، والفرجُ يصدق ذلك أو يكذبه» أورده المنذري بنحوه وقال: رواه مسلم والبخاري باختصار والنسائي وأبو داود. فبدأ بزنى العين لأنه أصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج. ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقبل، وجعل الفرج مصدقاً لذلك إن حقق الفعل، أو مكذباً له إن لم يحققه. وهٰذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها، ففيه رد على من أباح النظر مطلقاً، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية». رواه أحمد والترمذي وأبو داود. كما قال الحافظ المنذري. ووقعت مسألة: ما تقول السادة العلماء في رجل نظر إلى إمرأة نظرة فعلق حبها بقلبه واشتد عليه الأمر، فقالت له نفسه: هٰذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر إليها لرأيتها دون ما في نفسك فسلوت عنها، فهل يجوز له تعمد النظر ثانياً لهٰذا المعنى؟ فكان الجواب: الحمد لله لا يجوز هٰذا لعشرة أوجه: أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد. الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر الفجأة، وقد علم أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر. الثالث: أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له. الرابع: أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لا تناقصه، والتجربة شاهدة به، والظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة، والخامس: أنه ربما رأى ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه.

السادس: أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لتتم البلية.

السابع: أنه لا يعان على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوي بما حرّمه عليه، بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة. الثامن: أن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس ومعلوم أن الثانية أشد سماً فكيف يتداوى من السم بالسم؟ التاسع: أن صاحب هٰذا المقام في مقام معاملة الحق عز وجل في ترك محبوب كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه، فإن لم يكن مرضياً تركه، فإذاً يكون تركه لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالى، فأين معاملة الله

سبحانه بترك المحبوب لأجله؟ العاشر: يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك إذا ركبت فرساً جديداً فمالت بك إلى درب ضيق لا ينفذ ولا يمكنها أن تستدير فيه للخروج، فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها إلى وراء عاجلاً قبل أن يتمكن دخولها، فإذا رددتها إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانيت حتى ولجت (أي دخلت) وسقتها داخلاً ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى داخل؟ فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب، فإن عجل الحازم حسم المادة من أولها سهل علاجه، وإن كرّر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمي حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أُمِر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقي القلب إلى التلف والسبب في هٰذا أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض أولاً لاستراح قلبه وسلم، وتأمل قول النبي ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس» رواه الإمام أحمد في مسنده. فإن السهم شأنه أن يسري في القلب فيعمل فيه عمل السّم الذي يُسقاه المسموم فإن بادر واستفرغه وإلا قتله ولا بدَّ.

قال المروذي: قلت لأحمد: الرجل ينظر إلى المملوكة. قال: أخاف عليه الفتنة، كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل (جمع بلبال وبلبالة: شدة الهم والوساوس). وقال إبن عباس: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقلبه وذكره، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعَجُزها.

ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم اقتضت الشريعة تحريمه، وأباحته في موضع الحاجة، وهٰذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل فإنه يباح للمصلحة الراجحة، كما حرمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبه بالكفار في سجودهم للشمس، أبيحت المصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح. وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ أنه قال: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض

بصره عن محاسن إمرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم يلقاه» أو كما قال [وقال جرير بن عبدالله رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فأمرني أن أصرف بصري] رواه مسلم وأبو داود والترمذي كما قال الحافظ المنذري. ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يتعمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمداً أثم، فأمره النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم النظر، فإن استدامته كتكريره، وأرشد من ابتلي بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان إمرأته [وقال: إن معها مثل الذي معها] [ورد الأمر بإتيان الأهل في مثل هذه الحالة في أحاديث رواها أحمد ومسلم وأبو داود] فإن في ذلك التسلي عن المطلوب بجنسه. والثاني أن النظر يثير قوة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أهل كل فتنة. [كما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»] رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وإبن ماجه كما قال السيوطي. وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إتقوا الدنيا واتقوا النساء» وفي مسند محمد بن إسحاق السراج من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي النساء والخمر» وقال إبن عباس رضي الله عنهما: لم يكفر من كفر ممن مضى إلا من قبل النساء، وكُفْرُ من بقي من قبل النساء.

وفي غض البصر عدة فوائد: أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه» قال الأصمعي: رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها فقالت لي: يا هٰذا ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر، فهو إنما يرمي قلبه، ولي من أبيات:

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهدا ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... تَوقَّهُ.. إنه يأتيك بالعطب

وقال الفرزدق:

تزود منها نظرة لم تدع له ... فؤاداً ولم يشعر بما قد تزودا
فلم أر مقتولاً ولم أرَ قاتلاً ... بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد ... فإني من عيني أُتيت ومن قلبي
هما اعتوراني نظرة ثم فكرة ... فما أبقيا لي كل من رقاد ولا لب

(اعتوراني: تداولاني)، وقال آخر:

رماني بها طرفي فلم تخط مقلتي ... وما كل من يرمى تصاب مقاتله
إذا مت فابكوني قتيلاً لطرفه ... قتيل صديق حاضر ما يزيله

وقال إبن المعتز:

متيم يرعى نجوم الدجى ... يبكي عليه رحمة عاذله
عيني أشاطت بدمي في الهوى ... فابكوا قتيلاً بعضه قاتله

«أشاطت»: أشاط دمه وأشاطه غيره أهلكه: أو عرضه للقتل.

ومثله للمتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه ... فمن المطالب والقتيل القاتل

وقال أيضاً:

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت ... في حد قلبي ما بقيت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي وإنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

وقال أيضاً:

وقي الأمير من العيون[1] فإنه ... مالا يزول ببأسه وسخائه
يستأسر البطل الكمي[2] بنظرة ... ويحول بين فؤاده وعزائه

وقال الصوري:

إذا أنت لم ترع البروق اللوائحا ... ونمت جرى من تحتك السيل سائحا
غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته ... وأهملته مستأنساً متسامحا
ولم تدر حتى أينعت شجراته ... وهبت رياح للوجد فيه لواقحا
فأمسيت تستدعي من الصبر عازبا ... عليك وتستدني من النوم نازحا[3]

ودخل أصبهان مُغَنّ فكان يتغنى بهذين البيتين:

سماعاً يا عباد الله مني ... وكفوا عن ملاحظة الملاح
فإن الحب آخره المنايا ... وأوله شبيه بالمزاح

وقال آخر:

وشادن[4] لما بدا ... أسلمني إلى الردى
بظرفه ولطفه ... وطرفه لما بدا
أردت أن أصيده ... فصاد قلبي وعدا

---

(١) «العيون» في ديوان المتنبي: وقي الأمير هوى العيون.

(٢) «الكمي»: الشجاع، الجريء، المقدام كان عليه السلاح أو لم يكن.

(٣) عازبا ونازحا: بعيداً.

(٤) الشادن: ولد الظبية وجمعه شوادن.

وقال آخر يعاتب عينه:

والله يا بصري الجاني على جسدي لأطفئن بـدمعي لـوعـة الحـزن
تـالله تطمـع أن أبكي هوى وضنى وأنت تشبع من غمض ومن وسن
هيهـات حتى تُرى طـرفاً بـلا نظر كما أرى في الهوى شخصاً بلا بدن

وقال آخر:

يـا مـن يـرى سقمي يـزيـد وعـلتي أعـيـت طـبـيـبـي
لا تـعـجـبـن فـهـكـذا تجـني العيـون علـى القلـوب

وقال آخر:

لـواحـظنـا تجني ولا علم عندنـا وأنفسنـا مـأخـوذة بـالجـرائـر
ولم أرى أغبى من النفوس عفائف تصـدق أخبـار العيـون الفـواجـر
ومن كـانت الأجفان حُجَّـاب قلبه أذِنٌ عـلى أحشـائـه بـالفـواقـر

(*) «الجرائر»: جمع جريرة: الذنوب والجنايات «الفواقر» جمع فاقرة: الدواهي.

وقال آخر:

ومستفتـح بـاب البـلاء بنـظرة تـزود منها قلبـه حسرة الـدهـر
فـوالله ما تـدري أيدري بمـا جنت عـلى قلبـه أم أهلكتـه ومـا يـدري

وقال آخر:

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

وقال الخفاجي:

رمت عينهـاعيني وراحت سليمـة فمن حاكم بين الكحيلة والعبرى(١)
فيا طرف قد خدرتـك النظرة التي خلست فـها راقبت نهيـاً ولا زجـراً

---

(١) «العبرى» الباكية. والخفاجي: هو عبدالله بن سعيد المعروف بابن سنان الخفاجي وهو غير الشهاب أحمد الخفاجي. فإن هذا متأخر.

وَيَا قلب قد أرداك طرفي مرة فويحك لم طاوعته مرة أخرى

ولي في أبيات لعل معناها مبتكر:

ألم أقل لك لا تسرق ملاحظة فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك
نصبت طرفي له لما بدا شركا فكان قلبي أولى منه بالشرك

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ النور ٣٥ عقيب قوله: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ النور ٣٠. وجاء الحديث مطابقاً لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن إمرأة أورث الله قلبه نوراً» الحديث.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحّت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنفس فيها دائم تتنفس

وقال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطىء فراسته، وكان شجاع لا تخطىء له فراسة. والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت

له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض. ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وأفسد عليه باب العلم وطُرُقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة. وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق (أي يخشى ويخاف) الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في المتّبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه. قال الحسن: إنهم وإن هملجت (الهملجة: حسن سير الدابة) بهم البغال وطقطقت بهم البراذين (الطقطقة: حكاية صوت حوافر الدواب) (والبراذين: الدواب، مفردها برذون وبرذونة) إن ذل المعصية لفي قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقال بعض الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سروراً وفرحة، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضاً فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرّة ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما. وها هنا يمتاز العقل عن الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه فهو كما قيل: «طليق برأي العين وهو أسير».

ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار

كعصفور في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة

الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب ضَرِيَ (ضرى به أو عليه: لزمه وأولع به، اعتاد وتجرأ عليه) على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هٰذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد (القديم وضده الطارف). وإن كان أحسن منه منظراً وأطيب مخبراً، فغض البصر يسد عنه هٰذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره، قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب إستحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر ٧٢. فالنظرة كاس من خمر، والعشق هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر، فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو في عسكر الأموات كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامةٍ وحتى إفاقته من به سُكران؟

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف ما ذكرنا، وإنما نبهنا عليه تنبيهاً ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلاً إلى قضاء الوطر منه شرعاً، كالمردان الحسان فإن إطلاق النظر إليهم السم الناقع (البالغ الأثر، القاتل) والداء العضال. وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبي مرسلاً، قال: قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة (أي الحسن والجمال والنظافة)، فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره وقال: كانت خطيئة من مضى من النظر. وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم الرجل يحدّ النظر إلى الغلام الأمرد

فاتّهموه. وبالجملة فكم من مرسل لحظاته رجع بجيش صبره مغلولا، ولم يقلع حتى تشحط بينهم قتيلا.

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشحط بينهن قتيلا[1]

٢ ـ منع دخول أقارب الزوج لبيته في حال غيابه عنه:

[ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والدخول على النساء» قيل يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت» وقوله «الحمو الموت» أي أن دخوله يعدل الموت، وفسره بعضهم بـ فليمت ولا يدخل، وذلك لسهولة الإتصال، وتشابه أفراد الأسرة الواحدة، فقد تقع الجريمة وتخفى، ويظنُّ المولود أنه إبن الزوج مع أن العلوق كان من الحمو وهو قريب الزوج كأخيه وإبن عمه][2]

٣ ـ منع الخلوة بين الرجال والنساء.

ففي حديث رسول الله ﷺ الذي رواه إبن عمر «إلا كان الشيطان ثالثهما». وعن إبن عباس رضي الله عنهما قال: [قال رسول الله ﷺ: ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم] أخرجه الشيخان. (الحديث الأول ورد بطوله في موضع آخر).

٤ ـ فرض الحجاب على نساء المسلمين مع الأمر بتغطية النحور.

قال تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ الأحزاب ٥٩. وقال تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ وقال تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ النور ٣٠ والجيب فتحة الصدر في الثوب. [قال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن من حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبه][3] [فيميزهن هذا

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين من صفحة ٩٢ إلى صفحة ١٠٥ للإمام إبن قيم الجوزية.
(٢) حكم العورة ٤٨.
(٣) الظلال /سيد قطب ٦١١ ج ٦ ط ٧ دار إحياء التراث العربي.

الزي يجعلهن في مأمن من معابثة الفساق][1]. [إن الله جل جلاله إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، لا حفظاً على عفتها من الأعين التي تراها! ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان، فإن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر][2] نعم [رب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها. ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟.. ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟][3].

٥ ـ التشديد على خروج المرأة بصورة عامة مع منعها من الخروج بغير إذن زوجها فإنه مفسدة كبيرة.

قال تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ الأحزاب ٣٣. فعلى النساء أن [لا يخرجن إلا برضا أزواجهن، والخروج مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم فإن الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي إلى الفساد فإذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال، ولسنا نقول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فإن لم تكن فتنة فلا][4] عن إبن مسعود رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ: المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»] أخرجه الترمذي.

٦ ـ وضع أسس دخول البيوت مثل: أ ـ الإستئذان ب ـ عدم النظر إلى داخل البيوت ومنع التلصص. جـ ـ منع تسور البيوت والأمر بالدخول من الأبواب. د ـ الرجوع في حالة عدم الإذن للدخول.

عن عبدالله بسر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم

(١) الظلال /سيد قطب ٦١١ ج ٦ ط ٧. دار إحياء التراث العربي.
(٢) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٩٨.
(٣) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٩٨.
(٤) الإحياء ٤٩ /ج ٢.

يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن والأيسر. ثم يقول: السلام عليكم، السلام عليكم، وذلك أن الدُّور يومئذ لم يكن عليها ستور» أخرجه أبو داود. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل البصر فلا إذن، زاد في رواية: إنما الإستئذان من النظر][1] إن الإسلام قد [أمر الأجانب ألا يدخلوا بيتاً إلا بإذن أهله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ النور ٢٧ والقصد بذلك وضع الحد الفاصل بين داخل البيت وخارجه، حتى يكون النساء والرجال في حياتهم المنزلية في مأمن من نظر الأجانب][2].

٧ ـ منع النساء من الخروج وعليهن رائحة العطر.

قال النبي ﷺ «المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهي كذا يعني زانية» رواه الترمذي، وقال عليه السلام «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّن طيباً» رواه مسلم وفي الموطأ ذلك أن حسن الطيب مما يلفت النظر ويحرك العواطف وهو من عوامل الإثارة الجنسية.

٨ ـ منع النساء من التبرج أو إبداء الزينة أمام غير المحارم.

قال تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب ٣٣. وقال تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ الأحزاب ٣٣. وقال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ النور ٣٠. قال تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ النور ٣١.

يقول محمد صديق خان في كتابه حسن الأسوة في [ولا يضربن بأرجلهن] [فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إلى الرجال، وهٰذا سدٌّ لباب المحرمات، وتعليم للأحوط، وإلا فصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلاً عن صوت خلخالهن، وقال الزجاج: سماع هٰذه الزينة أشد

---

(١) تيسير الوصول ٣٦ /ج ٣.

(٢) الحجاب ٢٧٥.

تحريكاً للشهوة من إبدائها][1] وليست الدمامة مبرراً للتبرج، تقول نعمت صدقي في كتابها التبرج ص ٥٨ [مهلاً يا سيدتي فأذواق الرجال وميولهم تختلف وتتفاوت فمن يفضل النحيفة غير من يفضل البدينة، ومن يحب الشقراء غير من يحب السمراء. فتأكدي من وجود من يستحسنك من الرجال، وإن «كل فولة ولها كيال» وربما يوجد من يرى دمامتك جمالاً، بل ويوجد من الرجال الشره الذي يشتهي كل إمرأة مهما كانت دميمة، فالنفس الخبيثة الجائعة يعجبها أي غذاء إذن فلا يجوز لأي إمرأة دميمة أو كبيرة أن تتبرج، مهما كان سنها أو شكلها][2].

٩ ـ منع النساء من الخضوع في القول.

قال تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾ [نهى سبحانه في هذه الآية نساء النبي الكريم أمهات المؤمنين وهن من خير النساء وأطهرهن عن الخضوع بالقول للرجال وهو تليين القول وترقيقه لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض شهوة الزنى ويظن أنهن يوافقنه على ذلك] [وإذا كان الله سبحانه يحذر أمهات المؤمنين من هذه الأشياء المنكرة مع صلاحهن وإيمانهن[3] وطهارتهن فغيرهن أولى وأولى بالتحذير والإنكار والخوف عليهن من أسباب الفتنة][4].

١٠ ـ منع الإسلام النساء من النمص ووصل الشعر أو تفليج الأسنان طلباً للحسن واعتبر ذلك تغييراً لخلق الله، ولعل في هذا التغيير ما لا يظهر الحقيقة الدائمة للمرأة مما يؤدي لأن يكون هناك نوع من الإيهام والتمويه على الرجل بحسن المرأة وهذا يؤدي لعدم إستقرار البيت لعدم قيامه على الصراحة والوضوح والحقيقة الراسخة للمرأة والرجل، ولعل ما نراه هذه الأيام من أنواع المساحيق وغيره ما يغير الحقيقة تماماً حتى لتبدو الدميمة جميلة، وبعد تمام الزواج يكتشف

---

(١) حسن الأسوه ١٣٩.

(٢) التبرج ٤٤ + ٤٥.

(٣) رسالة الحجاب والسفور (لابن باز) ١٤.

(٤) نفس المصدر ١٤.

الرجل حقيقة الفتاة التي أعجبته بجمالها ومن ثم يشعر بأن ليست هذه التي أرادها ورغب فيها لأن جمالها كان مزيفاً أو مبالغاً فيه.

١١ ـ وضع أسس الإستئذان داخل البيوت:

فإن الفساد إن وقع داخل البيوت فإنه يدمرها ولذلك شدد الإسلام عقوبة الفساد داخل البيت كالزنى بالمحارم فعقوبته الموت والطرد من رحمة الله. ولذلك كانت هذه الأسس التي تحول دون الوقوع في هذا الجرم الكبير. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم﴾** النور ٥٨. عن عطاء بن يسار [أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: نعم. فقال الرجل: إني معها في البيت. فقال: إستأذن عليها. فقال: إني خادمها. فقال رسول الله ﷺ: استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟ قال لا. قال: فاستأذن عليها] أخرجه مالك(١).

١٢ ـ منع النساء من وصف الأخريات أمام أزواجهن.

فإن ذلك مما يحرك الشهوة في نفوس الرجال إلى النساء المحرمات، مما يؤدي لخراب البيوت أو حدوث علاقات غير شرعية أو تمزق النفس تحت ضغط الشهوات والأماني أو الشعور بالحرمان. وفي الحديث [لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها] رواه البخاري والترمذي وأبو داود والحديث صحيح.

١٣ ـ منع المخنثين من الدخول على النساء.

فإن هؤلاء يقومون بدور الناقل للفساد إذ يطلعون على عورات النساء ثم ينقلونها للرجال. عن أم سلمة رضي الله عنها. [إن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث فقال لعبدالله بن أبي أمية أخي أم سلمة: يا عبدالله إن فتح الله لكم

---

(١) تيسير الوصول ٣٦/ ج ٣.

غداً الطائف فإني أدلك على إبنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال ﷺ «لا يدخلن هؤلاء عليكم، يعني المختثين، فحجبوه. قال إبن جريج: المخنث هِيتٌ] أخرجه الثلاثة وأبو داود. قوله «تقبل بأربع» أي بأربع عكن «تدبر بثمان» أراد أطراف العكن الأربع من الجانبين. [«والعكن» الطيُّ الذي في البطن من السمن والجمع عُكَنٌ وأعكان(١).

١٤ - منع الأزواج من نشر ما يجري بينهم أمام الآخرين.

عن أسماء بنت يزيد، أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: لعلّ رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرَمَّ القوم، فقلت: أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. قال: فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانة فغشيها، والناس ينظرون] رواه أحمد(١) وإن هذا النشر ليجعل بعض الناس يعيشون مع زوجات غيرهم بما وصفه لهم أولئك الرجال عن زوجاتهم وإن بعض النساء يعشن مع أزواج غيرهن بما وصفت لهن تلك النساء عن أزواجهم، حتى إن إحداهن أو أحدهم ليجد نفسه منجذباً إلى الطرف الآخر راغباً به مستثاراً من قبله قبل أن يراه.

١٥ - تجنب النساء لمزاحمة الرجال في الطرق أو عند الخروج من المساجد أو الأماكن العامة.

عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال: استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بجنبات الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به] أخرجه أبو داود. «تحققن الطريق» أي تركبن حقها، وهو وسطها. وعن أم سلمة قالت «كان رسول الله ﷺ يمكث في مكانه يسيراً فنرى - والله أعلم - أن مكثه لكي تنصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال «أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي.

(١) مختار الصحاح /للرازي تحقيق الدكتور محمد عزت نصرالله، مؤسسة مصري للتوزيع، الطبعة الاولى - طرابلس ١٩٨٧.

(٢) حسن الأسوة ٤٧٢.

١٦ ـ منع الرجل من السير بين النساء.

عن إبن عمر رضي الله عنهما قال: [نهى رسول الله ﷺ أن يمشي الرجل بين إمرأتين] أخرجه أبو داود، ولعل هٰذا السير بين النساء يثير شبهة وجود علاقة بينه وبينهم أو ما يثير الشبهات حول النساء فيغري الآخرين بهن أو يثير الشبهات حول الرجل فيغري الآخريات به فيظنونه طالب هوى أو زنى.

١٧ ـ منع المرأة من السفر دون محرم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال [قال رسول الله ﷺ: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها] أخرجه الستة إلا النسائي(١). ولعل سفر المرأة وحيدة يعرضها للفساق في الديار الأخرى الذين لا تعرفهم هي لأنها غريبة عن الديار أو أن وجودها وحيدة في الخلاء أو ديار الغربة يغري مثل هؤلاء الفساق بها. ولعل شعور هٰذه المرأة بغياب رقابة الزوج والأهل ما يجعلها تميل للفساد إن تعرضت له فالنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

١٨ ـ التفريق بين الأولاد والبنات في المضاجع بعد سن السابعة.

[قال رسول الله ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع] رواه أبو داود وهو حديث حسن.

١٩ ـ التنبيه إلى أن شر الأماكن الأسواق لاختلاط الرجال فيها بالنساء.

عن سلمان رضي الله عنه: [لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته] أخرجه مسلم(٢).

٢٠ ـ الأمر بإعفاف المرأة جنسياً.

وعدم معاملتها في هٰذا الأمر بشيء من البهيمية. فإن إعفاف المرأة واجب ولقد [اختلف العلماء فيمن هجر زوجته في مجال الغريزة... فقال مالك: إن كان

---

(١) تيسير الوصول ١٩٥ /ج ٢.

(٢) تيسير الوصول ج١ ص ٦٧.

بغير ضرورة ألزم به، أو يفرق بينهما. ونحوه عن أحمد. والمشهور عند الشافعية أنه لا يجب عليه. وقيل يجب مرة، وعن بعض السلف في كل أربع ليلة، وعن بعضهم في كل طهر مرة. ومهما يكن من اختلاف في تحديد حق الزوجة في إجابة الغريزة فإن الزوج ممنوع من تعمد حرمانها فوق أربعة أشهر.][1] وفي حديث جابر (فهلا بكراً تلاعبها] دلالة على ضرورة وأهمية ملاعبة الزوجة وفي حديث النسائي [كل لهو يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله] حديث صحيح.

٢١ ـ تفضيل الصفوف الأولى للرجال في المسجد والصفوف الأخيرة للنساء على غيرها من الصفوف.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» أخرجه الخمسة إلا البخاري[2].

٢٢ ـ منع المرأة من الخروج للعمل إلا لضرورة.

قال تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ فمنع خروج المرأة عموماً ولكنه أباحهُ في حال الضرورة. فإن الإسلام يدرك أنه لا بد من خروج أحد الطرفين للعمل والقيام بأعباء البيت المادية، وكان الإختيار في الإسلام على الرجل لأنه أكثر تحملاً وأوسع آفاقاً وأكثر واقعية قال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا**﴾ النساء ٣٤ فالأساس في خروج الرجل هو وجود بعض القضايا التي يتميز بها الرجل مثل قلة العاطفة في الأحكام، وعدم وجود أعذار كالحيض أو النفاس أو الحمل والقدرة على التحمل الجسدي ومرونة الحركة، ومن هنا كان السبب الثاني للقوامة وهو الإنفاق [فالقرآن الكريم علل قوامة الرجل على المرأة بأمرين: أولهما: فضل بعضهم على بعض. وثانيهما: مسؤولية الرجل عن الإنفاق. ولم يحدد القرآن الكريم من الفاضل ومن المفضول،

---

(١) الأسرة في الإسلام ٦٨.

(٢) حسن الأسوه ٣٠٥

وعـدم التحديـد معناه أن في كـل منها فضـلاً لا يوجـد في الآخر. أي أن القـرآن الكريم يكشف عن الخصائص الفاضلة في كل منهـا، بحيث لا يستطيـع أحدهمـا أن يقـوم مكان الآخـر فيما قـطره الله عليه من وظـائف الحيـاة][1] وفي معنى الآيـة الذي يوضحه الشيخ الشعراوي دليل عدم إباحة خروج المـرأة للعمل إلا لضرورة حيث قـالت إحدى البنـات [«يـا أبت استـأجره إن خـير من استـأجـرت القـوي الأمين»].

ومعنى ذلك أنها سعت إلى أن تأتي بمن يقوم مقامها في هٰذه المسـألة، حتى لا تضطر إلى الخروج إلى المجتمع، إذن فهي لم تمدد الضرورة وإنمـا أنهت الضرورة، وكان سيدنا شعيب أبوهما لبقاً فـرأى أنه ربمـا تكون إبنتـه قد رأت أن هٰـذا الشاب مناسب لها ـ فلم يقل له أنه سيؤجره، ولكن قال له: إني أريد أن أنكحك إحـدى إبنتي هاتين فبدلاً من أن يكون أجيراً لديـه وتتسول لـه نفسه بـالنظر إلى البنـات، فاحتاط على ألا يكون موسى أجيراً في البيت وإنما زوج للبنت، أي أنه محرم للبنت الأخرى.][2]

إن الخروج للعمل يؤثـر على نفسيـة المرأة وجسـدها فقـد [أكد خـبراء طب الصناعات أن العمل يضعف من أنوثة المرأة وقالوا إنـه لا يشترط أن يكـون العمل شاقاً بل إن الأعمال المكتبية والذهنية وتحمل المسؤولية لها نفس التأثير.][3]

٢٣ ـ تفضيل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في المسجد.

فخروجها يعرضها للإختلاط والإحتكاك وهو مجال فتنة لها وللآخرين.

٢٤ ـ منع إمساك المرأة للضرار.

فـالإضرار بها قـد يؤدي إلى أن تبحث هٰذه المـرأة عن وسـائـل غـير شرعيـة لتنفيث طاقاتها المكنونة وفي ذلك دمار للأسر والمجتمع.

---

(١) اللقاء بين الزوجين ٤٨.

(٢) المرأة كما أرادها الله ٣٨، ٣٩.

(٣) الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل ٢٤.

٢٥ ـ عدم إكراه الفتاة على زوج لا تريده وأن تستأمر في زواجها

فإن رضاها بزوجها وشعورها بأنه من اختيارها يمنعها من النظر إلى غيره أو تمني سواه.

٢٦ ـ منع الرجال من السكوت على فساد بيوتهم. وتكليفهم بوقاية أهليهم من الفساد.

قال تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ التحريم ٦. فالرجل مسؤول عن بيته [وعليه أن يراعي الإعتدال فيه فلا يدع الهيبة والإنقباض مهما رأى منكراً ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض][1].

[إن عليه أن يرعى زوجته، فلا يذرها تنحرف وهو شاهد، ولا تعبث وهو لاه ساه، ولا يملي لها حتى تلج ميادين الشر وساحات الهدم، بل لا بد من وعي الرقابة وحسن القيادة وتأمين الطريق، والمبادرة قبل استفحال الخطر واستمكان الداء][2]

٢٧ ـ منع إكراه الجواري على البغاء طلباً للمال.

فإن ذلك يشيع الفساد في المجتمع ويغري ضعاف الدين بالفساد والإنحراف.

٢٨ ـ إباحة طلاق المرأة من زوجها العنين.

فإن إحصان المرأة ضروري لمنعها من الوقوع في الحرام. مع ضرورة كشف العيوب الخلقية في كل منهما قبل الزواج للآخر، فذلك أدعى لاستقرار الزواج. وبالتالي عدم وقوع أي منهما في الحرام نتيجة عدم تلبية رغباته أو عدم قناعته بالآخر.

---

(١) الإحياء ٤٦ /ج ٢.

(٢) الأسرة في الإسلام ٨٧+٨٨.

٢٩ ـ البعد عن المشركة وخضراء الدمن عند الزواج.

فكلاهما قابل للفساد مع إمكانية أن ينساق الزوج معهما في الفساد، أو على الأقل عدم إستقرار الأوضاع في البيت نتيجة الظن.

٣٠ ـ الأمر بتخير المرأة الصالحة الودود الولود صاحبة الدين.

فلقد أمر الإسلام بالظفر بصاحبة الدين [فاظفر بذات الدين تربت يداك][(١)] من حديث أبي هريرة أخرجه الخمسة إلا الترمذي. وأذن الإسلام للرجل برؤية المرأة، وللمرأة برؤية الرجل ضمن حدود الشرع وعدم الفتنة والإنسياق وراء الشهوات قبل حدوث العلاقة الشرعية، كما حث الإسلام على المكافأة بين الأزواج. وما ذلك إلا لتكون قناعة كل طرف بالآخر كبيرة وبالتالي الحيلولة دون وقوع أي منهما في الحرام ومن ثمّ تهدم الأسر.

٣١ ـ عدم القدوم على أهله ليلاً وإتاحة الفرصة لهن لتجهيز أنفسهن استعداداً لمقدمه.

فإن الرجل قد يرى من زوجه في حال عدم استعدادها ما ينفره منها مما يؤدي إلى تطلعه خارج بيته ومن ثم فساد البيت والمجتمع والوقوع في الحرام.

٣٢ ـ تحريم إظهار العورة على غير الأزواج والمحارم كل حسب ما يحل له أن يراه.

فعورة المرأة تختلف عن الرجل، وإن كل نوع من المحارم يجوز له أن يطلع على حد معين من العورات وإن إطلاع المحارم على العورات غير المسموح بها قد يؤدي إلى الفساد حتى داخل البيت الواحد.

٣٣ ـ عدم مواعدة الأرملة أو البكر بالزواج.

فإن ذلك مما يثير الرغبة في نفسها، وقد لا تجد تلبية لذلك ضمن الإطار الشرعي خاصة إن لم يتم الزواج لأسباب أخرى معينة.

---

(١) تيسير الوصول ٣١٠ /ج ٤.

٣٤ ـ عدم خطبة الأرملة أو المطلقة أثناء عدتها.

فإن دخول رجل إلى بيت مخطوبته أثناء عدتها قد يثير شكوكاً حول جنينها إن كانت حاملاً من زوجها السابق. وإن الخطبة قد تثير في نفسها الرغبة وهذه الرغبة لا يمكن تلبيتها قبل انتهاء العدة للتأكد من وجود الحمل أو عدمه مما يجعل المرأة تعيش حالة من التمزق النفسي قد يقودها إلى الفساد.

٣٥ ـ أمر الزوج والزوجة بالتجهز للطرف الآخر حتى لا يرى أي منهم ما ينفره من الأخر، مع أمر كلاهما بالتطيب، وحلق شعر العانة، وقص الأظافر، والنظافة.

٣٦ ـ التشديد والتشنيع على الزنى في المحارم والجارات وتحريم تخبيب المرأة على زوجها.

٣٧ ـ منع لمس المرأة التي لا تحل ومنع مصافحتها.

مع أمر الزوجة بتلبية طلب زوجها في مجال الرغبة، فلعل الزوج رأى ما يثيره خارج بيته مما يحتاج معه لإطفاء لهيب الرغبة، قال ﷺ **﴿لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس إمرأة لا تحل له﴾** رواه الطبراني [وفي الحديث «إذا رأى أحدكم إمرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في قلبه»] رواه مسلم وفي الحديث [«والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو إمرأته إلى فراشه فتأبي عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى»]. رواه البخاري ومسلم.

إن اللمس من عوامل الإثارة المعروفة علمياً، وإن أي لمس لا يعرف، مدى تأثيره على أي من الطرفين لأن ذلك يعتمد على الحالة النفسية لكل منهما في تلك اللحظة، وخير للطرفين الإبتعاد عن اللمس لئلا تحدث الفتنة وينقاد كلاهما للشهوات.

٣٨ ـ تحريم الإختلاط بين الرجال والنساء:

إن حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة هي وجود الرغبة المتبادلة بين الطرفين،

وأن الرجل يمكن أن يفتن بالمرأة وأن المرأة يمكن أن تفتن بالرجل، وعلى هٰذا الأساس من وجود الإستعداد المتبادل وإمكانية الإنحراف إن تهيأت ظروف أخرى معينة كان منع اختلاط الرجال بالنساء، فالرغبة الجنسية عند كلاهما جامحة وطريق الإختلاط نهايتها حدوث الحب والعشق بين الطرفين وبالتالي يمكن أن يؤدي هٰذا إذا كانت الظروف مواتية وفي غياب التقوى وبوجود رقة الدين، يمكن أن يؤدي ذلك إلى قمة التفريغ العاطفي وهي ممارسة الزنى.

إن طريق الحب غير معروفة بدايته، متتالية مراحله، متوالية درجاته، ويصعب الوقوف عند جزء منها إلا بتثبيت من الله واعتصام به، مع وجود موانع في المحبوب وإلا فنهايته وخيمة في أغلب الأحيان.

إن الإختلاط ليتيح لكل طرف أن يرى من الآخر ما يزيده فيه ولعاً ورغبة ولذلك فهو طريق خطر وقد حرّمه الإسلام. إن الإختلاط إذا لم يصاحبه حرية جنسية وانطلاق وانفتاح جنسي، وهٰذا ما لا يرضاه الإسلام لأنه يخالف مبادئه الأساسية وأهدافه السامية من وراء الغريزة الجنسية، إن هٰذا الإختلاط في غياب الحرية الجنسية والإنفتاح الجنسي يؤدي إلى الكبت والأمراض النفسية وهٰذا ما يوضحه الأستاذ البوطي إذ يطرح تساؤله: [الكبت..! أيها يورث الكبت؟ أن يخرج الشاب إلى شأنه من وظيفة أو عمل أو دراسة. فلا تقع عينه على ما يثير شيئاً من كوامن الغريزة فيعود إلى بيته هادىء النفس مستريح البال نشيط الفكر، أم أن يخرج من بيته فتستقبله مغريات الجنس من كل جانب وصوب وبكل أسلوب وفن، فتهتاج نفسه وتثور غرائزه حتى إذا دنا ليمنع نفسه ويشبع غريزته إصطدم بحواجز القانون ورقابة البوليس وشهامة الزوج أو القريب؟ أجل.. أيهما يورث الكبت][1].

وإن منع الإختلاط واضح الدليل في حديث فاطمة بنت قيس وغيره من الأحاديث الكثيرة التي تمنع الخلوة والإحتكاك بين الرجال والنساء. [عن فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته،

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله ١٠١.

فقـال: والله مالـك علينا من شيء، فجـاءت رسول الله ﷺ فـذكرت ذلـك لـه، فقال: ليس لك عليـه نفقة، وأمـرها أن تعتـد في بيت أم شريك، ثم قـال: تلك إمـرأة يغشاهـا أصحابي، اعتـدي عند ابن أم مكتـوم، فإنـه رجل أعمى تضعـين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني، فلما حلّت ذكرت له: أن معاوية وأبا جهم خطبـاها، فقال لها رسول الله: أما أبو جهم فلا يدع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فانكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: إنكحي أسامة، فنكحته، فجعـل الله فيه خيـراً، واغتبطت». أخـرجه الستـة إلا البخاري. قـوله يغشـاهـا أصحابي: أي يأتـون منزلهـا كثيراً. وقـوله فـآذنيني: أي أعلميني. وأراد بقولـه لا يضـع عصاه عن عـاتقه: التـأديب والضرب، وقيـل: أراد بـه كـثرة الأسفـار عن وطنـه][1] [ولقد كـانت فاطمـة العامـرية أيضـاً ـ كما قـالوا ـ تكشف وجههـا أمام الرجال حتى افتتن بها ذو الرمة وصاغ كثيراً من قصائده تغزلاً بهـا أو تشوقـاً إليها. ولقد كانت ولادة أيضاً لا تبالي أن تستقبل الأدباء والشعراء في منتداها الأدبي باديـة الوجه والمحاسن، حتى تولّه بها إبن زيدون].[2]

إن الإسلام يسعى لأن يحول بـين المرء والـوقوع في العشق فهـو مرض يجب أن يتجنبه الإنسان المسلم بكل ما أوتي من قوة وأما إن حدث نتيجة ظـروف معينة ورغـماً عن إرادته فعـلاجه المشروع هـو الزواج. [وهم يجعلون الحب مـراتب أوله العلاقة ثم الصبـابة ثم العـزم ثم العشق وآخر ذلـك التتيم وهو التعبـد للمعشوق فيصير عبداً لمعشوقه][3].

يقول الإمام إبن القيم [وإن العشق لما كان مـرضاً من الأمـراض كان قـابلاً للعلاج، وله أنواع من العلاج: فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعـاً وقدرا فهو عـلاجه كـما ثبت في الصحيحين من حـديث إبن مسعود رضي الله عنـه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «يا معشر الشبـاب من استطاع منكم البـاءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فـإنه لـه وجاء» فـدل المحب على عـلاجين: أصـلي،

(١) حسن الأسوة ٣٧٤.

(٢) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٨٢.

(٣) الدين الخالص ٤١٠ ج ٢

وبدلي، وأمره بالأصلي وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً. وروى إبن ماجة في سننه عن إبن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال «لم نر للمتحابين مثل النكاح» وهذا المعنى الذي أشار إليه سبحانه عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ فذكر تخفيفه في هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن إحتمال هذه الشهوة، وإنه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع. وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج إلى ذلك علاجاً لهذه الشهوة، وتخفيفاً عن هذا الخلق الضعيف، ورحمة به.][1] إن الإختلاط بلاء على المجتمع المسلم وتجب محاربته بكل وسيلة فهو طريق الدمار للأسر والإنحلال الأخلاقي وتمزق المجتمع وهو طريق انعدام الثقة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع وهو طريق المكاسب الفاسدة في المجتمع.

إن البعض يدعي بأن للإختلاط إيجابيات وهو وهم وخدعة إنطلت على كثير من المسلمين والمسلمات وللأسف، والإدعاء الأول لهؤلاء هو أن الإختلاط يخفف من حدة الرغبة عند كل طرف في الآخر نتيجة الإلفة وهنا لا بد من مناقشة هذا الأمر وتوضيح مخاطر الإختلاط.

الإختلاط وإيجابيات مدّعاه

يدّعي البعض أن الإختلاط يخفف من حدة الرغبة عند كل طرف في الآخر نتيجة الإلفة، والحقيقة أن الإلفة في موضوع الرغبة الجنسية غير واردة فإن الرغبة الجنسية تتجدد باستمرار وتكون في قوتها كأول مرة يعرف فيها الإنسان هذه الرغبة إلا أن تكون هناك عوامل مثبطة ليست الإلفة واحدة منها.

إن الإختلاط لا يؤدي إلى تخفيف حدة الرغبة بل إنه يزيدها خاصة مع كثرة الرؤية والإختلاط، فالراغب يصبح طالباً للمزيد، والذي يرى شيئاً يعجبه في

(١) زاد المعاد ١٨٠ + ١٨١ ج/٣.

إمـرأة يبقى هٰذا الشيء يثـيره وباستمـرار، ومع الـوقت يسعى لمـزيـد من الـرؤيـة والإختلاط وبالتالي لمزيد من الإثارة وهكذا. وقد لا تظهر الشهوة عند إنسـان ما، ولكنها قد تكون مكنونة مخبوءة تظهر في لحظة غير منضبـطة لتخرب الكثـير الكثير، ذلك أن الذي تتحكم فيه الشهوة يسعى دوماً نحو الإستزادة منها ولذلك فإن السير مع الشهوة بغير طريق الحلال مرتعه وخيم.

إن الإختـلاط وما يصـاحبه من حـديث ونظر وسـماع ومزاح هـو المقدمـات الطبيعية للحب والوقوع في الهوى. [سئلت إعرابية عن صفة الهوى، فقالت:

الحـب أولـه مـيـل تهـيـم بـه	نفس المحب فيلقى الموت كاللّعب
يكـون مبـدؤه من نـظرة عـرضت	أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب
كـالنار مبـدؤها من قـدحة، فـإذا	تضرمت أحرقت مستجمع الحطب[1]

وعن دور السماع في ميل المرأة نحو الـرجل يقـول إبن القيم في كتاب أخبـار النساء:

[فإن النساء أسرع شيء ذهـاب قلوب إلى النغمة الحسنـة] ويقول في روايـة بعد سماع الرجل لعـطار يغني [فذهبنـا به إلى غيرها وجعـل العطار ينـادي فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافي له طربـاً وجعلت لا آمر ولا أجيء لما سكرت من حسن صـوته. فقـال: كيف تراه؟ قلت: أراه يستـولي على قلوب الـرجال. قـال: فكم قلب الـرجل عـلى ترك التهتـك من قلب المـرأة؟ هٰـذا إذا كـانت بلغت من السن مبلغاً، ونقصت شهوتها فأما إذا كانت شابة ولها فضل جمـال، ومعها شـدة شهوة، وكـثرة لذة، وهي ذات حـاجة، وخـالية الـذرع من الفكرة في المعـاش، وخـاليـة القلب، وقـد أمنت ضرب الـزوج وتـطليقـه، وغـيرة الأخ، وقلة صيـانـة الأب، وأصابت من يشجعها على فعلها، ويفتح لها أبـواب نظرتهـا، ويسعى لها في طلب الصديق، ويحرضها على التهتـك، وقد قـرب منها الصـوت، وخلت من الرقيب، ولم يكن لهـا في الأرض إشراف، ولا أهـل عفـاف فـما يمـرق السهم من الـرميـة،

(١) أخبار النساء ٥٨.

كمروق هذه إلى الباطل.][(1)] إن نتيجة الإختلاط هي الفتنة والوقوع في الحب الذي لا يملك المرء معه الكثير إن سار في أوائل خطواته، ولذلك فإن عليه أن يبتعد عن كل ما يقرب إليه. [في رواية للترمذي: أن العباس قال للرسول ﷺ لويت عنق إبن عمك؟ فقال عليه الصلاة والسلام «رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما من الفتنة] [ويقول الشاعر:

إن العيون التي في طرفها حور   قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهُنَّ أضعف خلق الله إنسانا][(2)]

وعلى هذا الأساس من إمكانية ميل كل طرف للآخر وفتنة كل طرف بالآخر تكون التربية على العفة والطهارة وتصريف الطاقة في الحلال [يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء] وإن ضبط الرغبة الجنسية والإبتعاد عن كل ما يثيرها أو يقرب من الوقوع في الزنى ضروري وإلا أدت بصاحبها إلى الويلات على المستوى النفسي والإجتماعي والقانوني. يقول كاتب كتاب علم الجنس [SEXOLOGY] صفحة ٣٤. [على الرغم من أن الرغبة الجنسية تعتبر إحساساً عضوياً مثل الجوع والعطش والتي تدل على حاجات الجسم وتثير تفاعلات معينة لتلبية هذه الحاجات على الرغم من ذلك لكن هناك بعض نقاط الإختلاف بين الرغبة الجنسية والرغبات الجسدية الأخرى. إن أهم نقطة في التفريق هي أن الإشباع الجسدي يحتاج إلى مشاركة طرفين [ذكر وأنثى]. هذا الفرق له أهمية خاصة بالنسبة للإنسان حيث إنه من خلال الدين، والعادات، والمستوى الثقافي والأخلاق والحالة النفسية والصحية للشخص، يجب ضبط النشاط الجنسي. وأيضاً من خلال العديد من المثيرات النفسية والمحيطة التي تعمل سلباً وإيجاباً فإن النشاط الجنسي الإنساني ينضبط[(3)]].

وإن الرغبة الجنسية يمكن أن تقلّ أو تفقد ولكن في بعض الحالات تزداد إلى حد الشبق الجنسي تبعاً لمقدار الإثارة وبهذا يتبين ما للمثيرات في الوصول للشبق

---

(1) أخبار النساء ٩٧.
(2) أخبار النساء ٢٠٢
(3) Sexology ٣٤ مبادىء علم الجنس.

من دور وما للتربية من أثر في تهذيب الرغبة. ويقول الكاتب أيضاً [إن هذه المثيرات تلعب أهم دور في تحديد الرغبة الجنسية الإنسانية إنها قد تأخذ (أي المثيرات) شكل الأحلام أو التخيلات أو حتى الأفكار. لقد تم تسجيل أن بعض الأشخاص خاصة النساء يمكن أن تصل إلى الإشباع الجنسي حتى الرعشة الجنسية من خلال المثيرات النفسية. وفي الرغبة الجنسية عند الإنسان يمثّل الحب أحسن جوّ لديمومة الإثارة النفسية الجنسية عند الطرفين][1]. إن إمكانية إعجاب ورغبة الرجل والمرأة كل بالأخر مسألة فطرية وجدت لاستمرار الحياة وتحقيق الخلافة حتى يأذن الله لهذا الكون بالفناء. وإن أي لقاء مهما كان عابراً بين الرجل والمرأة يمكن أن تتبعه فتنة، خاصةً إذا وافقها فترة ضعف في الإيمان فالإيمان يزيد وينقص، قال ﷺ **﴿لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن﴾** أخرجه البخاري وليست الفتنة دائماً ولكنها ممكنة، ولذلك [فينبغي أن يبتعد كل منهما عما يقوده إلى الزنى من مغريات، وألا يقرب مما يحيط به أو يدني منه من متعة العين ولذة البصر أو الإذن أو أي حاسة من الحواس الأخرى. وانه والله لأمر حكيم، لأن من يقترب من التيار الجارف لا بد غارق فيه ولا بد هالك مهما قويت ذراعاه، ومهما بعدت باعه في السباحة ومغالبة الأمواج][2] يقول صاحب كتاب Cuneuil وهو كتاب في النسائية والتوليد: [وعلى أي حال فإن هناك دائماً دافع كاف لكلا الجنسين يسمح بحدوث ممارسة جنسية عالية المستوى إذا ما توافرت الظروف الأخرى المؤدية لحدوث الإلفة والثقة][3] فالإلفة والثقة عاملان أساسيان في حدوث العلاقة الجنسية بين أي إثنين وهذا ما يؤدي إليه الإختلاط فالإختلاط إذاً هو عامل خطير من عوامل حدوث العلاقات الجنسية بخارج إطار الزوجية: [إن الإعجاب بالجمال واستهواء الصورة الحسنة أمر لا إرادي وأحسب أن هذا متفق عليه من الناحية النفسية والغريزية حسب ما يقرره علم النفس وعلم الغرائز حيث لا يستطيع إنسان أن يقهر بإرادته نفسه في أن ترى الجميل قبيحاً واللذيذ

(١) Sexology ٣٤ مبادىء علم الجنس.

(٢) التبرج ١٨.

(٣) Currenr ٤٥٩.

أليماً ولا بد في تلك المجالس المختلطة أن تلوح الصور الجميلة والنبرات اللطيفة والحركات الرشيقة بقصد أو بغير قصد وكل ذلك يستلذ ويستهوى][1] [وبالجملة لا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل لأن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها][2] فإعجاب الرجل بجمال المرأة إذا أمر فطري غريزي وهو أمر ممكن الحدوث قال تعالى ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الاما ملكت يمينك**﴾ الأحزاب ٥٢ والرسول ﷺ بشر ولكنه لا يميل مع الهوى أما البشر الذين ليس لهم رسالة ولا عصمة فإن ميلهم مع الهوى أمر ممكن وبالتالي فإعجابهم بالحسن وميلهم للنساء أمر وارد وإن هذا الأمر إن وقع رغماً عنهم فإنه لا بد أن يكون مقصوده الزواج وأن لا يستمر فيه الإنسان بل يبادر إلى قطع حبال الفتنة والتعلق بالزواج الشرعي. إن تقوى الرسول ﷺ تقارن بتقوى أي منا ومع ذلك خاطبه ربه جل وعلا قائلاً ﴿**ولو أعجبك حسنهن**﴾ الأحزاب ٥٢ ليعلمنا أن الإعجاب بالحسن هو أمر فطري غريزي في نفوسنا وإننا يجب أن نبتعد عن دواعيه حتى لا يقودنا إلى الزنى، وصرّف لنا ذلك بالإعجاب ضمن إطار الزواج، [عن إنس بن مالك في حديث طويل، قال رسول الله: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري واللفظ له ومسلم وغيرهما][3] [وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي. وفي رواية عنه بلفظ «حبب إلي النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي أيضاً][4]

ويورد القرآن أمثلة أخرى على الإعجاب أحدهما أدى إلى الزواج والثاني كان على طريق الدعوة للزنى، فهذه إبنة شعيب قالت ﴿**يا أبت استأجره**﴾ القصص ٢٦، وأما زوجة العزيز فقد طلبت يوسف للزنى بعد أن أعجبت به

(١) محاذير الإختلاط ٢٣.
(٢) حسن الأسوة ١٣٤.
(٣) حسن الأسوة ٤٦٩.
(٤) حسن الأسوة ٢٩٨.

﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ يوسف ٣٢. وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾ يوسف ٣٣ وجماع ذلك كله ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ آل عمران ١٤.

[فالعشق مركب من أمرين: استحسان للمعشوق وطمع في الوصول إليه][١] [فإن قيل: فإذا كان سبب العشق ما ذكر من الإتصال والتناسب الروحاني فما باله لا يكون دائماً من الطرفين، بل تجده كثيراً من طرف العاشق وحده، فلو كان سببه الإتصال النفسي والإمتزاج الروحاني لكانت المحبة مشتركة بينهما. فالجواب أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط أو لوجود مانع. وتخلف المحبة من الجانب الآخر لا بد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب. الأول: علة في المحبة، وأنها محبة غرضية لا ذاتية، ولا يجب الإشتراك في المحبة العرضية، بل قد يلزمها نفرة من المحبوب. الثاني: مانع يقوم بالمحب يمنع محبة محبوبه له، إما في خلقه أو هديه أو فعله أو هيئته أو غير ذلك.

الثالث: مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته، ولولا ذلك المانع لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر، فإذا انتفت هذه الموانع وكانت المحبة ذاتية فلا يكون قط إلا من الجانبين][٢]. إن الحب يقع فجأة وإنه لا يعرف متى يأتي ولذلك فعلى المسلم أن لا يعرض نفسه للفتن أو أن يدخل أجواءها وأما إن وقع فإنه [إن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدراً أو شرعاً، أو هو ممتنع عليه من الجهتين وهو الداء العضال، فمن علاجه إشعار النفس باليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشيء استراحت منه، ولم تلتفت إليه][٣]. إن الإختلاط في ضوء هذه الفطرة البشرية خطر وعلى الرجل أن يضبط نفسه وأن يتقي الله في نفسه وأهله إن كان متزوجاً وأما إن لم يكن ضبط نفسه وانساق وراء عواطفه فإن [الإسلام حين يضع نظاماً لتصريف الطاقة الجنسية ينظر إلى القضية من كافة جوانبها.. يلحظ وجود فوارق في القوى الجنسية بين الناس.. وهو

---

(١) زاد المعاد ١٧٩ /ج ٣.
(٢) زاد المعاد ١٨٠ /ج ٣.
(٣) زاد المعاد ١٨١ /ج ٣.

لـذلك يضـع من التشريعات والمخارج مـا يحقق الإشبـاعـات الجنسيـة في نـطاق الشرعية][1] [إن الرجـل الذي يـرى نفسه في حـاجة إلى زوجـة أخرى إن لم تكن هناك رخصة له من الشريعة في تعـدد الزوجـات، فإنـه سيلجأ إلى مبـاشرة الزنى، كبديل عن تعدد الزوجات. وهذا هو الواقع الآن في الحياة الغـربية التي تمنـع فيها الكنيسة الزواج بأكثر من واحدة][2] إن مراحل الإنفعال العاطفي متلاحقة وليس بينهـا فصل ويعتمـد الوصـول إلى أعلاهـا على قـوة المؤثر والـظروف المحيطة بـه، ولذلك وجب التخفيف من مصادر الإثارة حتى لا يصل الإنسان سريعـاً إلى درجة من الإنفعال لا يستطيع ضبط نفسه معـه. [فإنـه يمكن تقسيم الإستجابـة الجنسية عند الرجل والمرأة إلى خمس مراحل رغم أن الفصل بينهما غير واضح لتداخلها مـع التي تليهـا على شرط حـدوث الإثارة الكـافية. والمـراحل هي: ١ ـ الـرغبة. ٢ ـ الإثـارة. ٣ ـ العلو. ٤ ـ الـرعشـة. ٥ ـ الهـدوء والتحلل. وإن الـرغبـة الجنسيـة تستثار بواسطة النظر أو اللمس أو الرائحة أو رؤية أشياء مثـيرة. إنها قد تصـل بلا شعور إلى مرحلة الإثارة أو تهدأ بالمؤثرات المانعة][3] [وكـما قلت سابقـاً النساء لهن نفس الـدافع الجنسي مثـل الرجـال رغم أنهن تعـوّدن بحكم الـتربيـة عـلى تقليله وكبته][4] وإن حدوث الرغبة من طرف واحد أمر ممكن [عن أم سلمة قالت: كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث، فأقبل إبن أم مكتوم، وذلـك بعد أن أُمرنا بالحجاب، فدخل علينا، فقال: «احتجبا منه. فقلنـا: يا رسـول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقـال: أفعمياوان أنتـما؟ ألستما تبصرانـه؟» أخرجـه أبو داود والترمذي وصححه. قال تعالى: ﴿**يا نساء النبي لستن كأحـد من النساء إن اتقيتن فـلا تخضعن بالقـول فيطمـع الـذي في قلبـه مـرض وقلن قـولاً معروفاً**﴾ الأحزاب ٣٢ [(فلا تخضعن بالقول) [أي: لا تلن القـول عند مخاطبة الناس كما تفعله المـريبات من النسـاء، ولا ترققن الكـلام (فيطمـع الذي في قلبـه مرض) أي: فجور وشهوة، أو شك وريبـة، أو نفاق. والمعنى: لا تقلن قـولاً يجد

(١) الإسلام والجنس ٣٤.
(٢) الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ٤١٠.
(٣) أسس علم النسائية والولادة ٩٣
(٤) أسس علم النسائية والولادة ٩٢.

المنافق والفاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن. والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن [وقلن قولاً معروفاً) أي: حسناً مع كونه خشناً بعيداً من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئاً، بيان من غير خضوع.][1] [وربما سكت اللسان. وقامت حركات أخرى تؤثر في سمع السامع بصوتها. وهذا أيضاً من باب فساد النية، فيمنعه الإسلام بقوله: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ النور ٣١].[2] إن رد الفعل قد يبدأ من طرف واحد على شكل فكرة تزداد وتكبر مع الزمن لتتحول إلى همّ وعزم ثم تخطيط وبرمجة لعمل يقوم به ضد من رغب به كما فعلت زوجة العزيز قال تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾ يوسف ٢٣. [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله الحديث وفيه: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» أخرجه الستة إلا أبا داود][3]. إن الحب حتى نتيجة السماع أمر ممكن ذلك [أن هناك شيء بالرجال أعظم حاجة إلى أن يعرفوه ويقفوا عليه، وهو الإحتراس من أن يلقى الخبر السابق إلى السمع لأنه إذا ألقي دخل ذلك الخبر السابق إلى مقره دخولاً سهلاً وصادق موضعاً وطيئاً، وطبيعة قابلة. ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخاً لا حيلة في إزالته. ومتى ألقي إلى الفتيات شيء من أمور الفتيان في وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة، وعند قلة الشواغل، قوي استحكامه، وصعبت إزالته. وكذلك متى ألقي إلى الفتيان شيء من أمورهن وهناك سكر الشباب فكذلك يكون حالهم][4] يقول الشاعر في طريق الحب المؤدي للجنس خاصة في أجواء الإنفتاح وقلة التقوى:

نظرة فسلام فكلام   فموعد فلقاء

[فينبغي للمسلم التقي أن يلجم عينيه بلجام الحياء والعفاف حتى ينجو من

---

(١) حسن الأسوة فصل ١٣٦ ص ١٦٤.
(٢) الحجاب ٢٦١.
(٣) حسن الأسوة ٣٩١.
(٤) أخبار النساء ٩٥.

الزلل: فالشهوة لا تصحو إلا إذا أيقظها، ولا تنتبه إلا إذا دعاها][1].

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كتب على إبن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما السمع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه][2] ولذلك فليكن الإحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح][3]. إن الإختلاط يؤدي لرؤية الرجل والمرأة ما يعلقه بالآخر:

[فدواعي الحب من المحبوب جماله، إما الظاهر أو الباطن أو هما معاً، فمتى كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشيم والأوصاف كان الداعي منه أقوى، وداعي الحب من المحب أربعة أشياء، أولها: النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وصف له، فكثير من الناس يحب غيره ويفني فيه محبة وما رآه لكن وصف له، ولهذا نهى النبي ﷺ المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها، الثاني: الإستحسان، فإن لم يورث نظره استحساناً لم تقع المحبة. الثالث: الفكر في المنظور وحديث النفس به، فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه، وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح ولهذا قيل: العشق حركة قلب فارغ. ومتى صادف هذا النظر والإستحسان والفكر قلباً خالياً تمكن منه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فإذا وجد النظر والإستحسان والفكر والطمع هاجت بلابله، وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم داؤه، وعجز عن الأطباء دواؤه.

تالله ما أسر الهوى من عاشق   إلا وعز على النفوس فكاكه

وإذا كان النظر مبدأ العشق، فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه.][4]. إن الشهوة الجنسية لا يطفئها القرب من الطرف الآخر

---

(1) التبرج ١٩.

(2) مسؤولية التربية الجنسية ٢٢.

(3) الإحياء ٩٧/ج ٣.

(4) روضة المحبين ٩٠ + ٩١.

بل إن ذلك يزيدها اشتعالاً، فبقدر ما يرى الرجل من المرأة، بقدر ما يزيد تفكيره فيها وبالتالي تزداد الشهوة إستعاراً ويزداد الطلب فالحل الأمثل هو منع كل ما يقرب للزنى. قال تعالى ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ الإسراء ٣٢ وقال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ النور ٣٠.

إن الجماع لا يطفيء الشهوة ولكنه يسكّنها إذ أن نار الشهوة لا تطفأ بالكلّية بل تهدأ ثم يعود أمثالها. [صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الإعتياد وكثرة الشيوع. ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها، خلال مرحلة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها. وبدهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا فوقها، ولكن لأنهم قد بشموا بها ولأنهم يشبعون كل يوم منها، وكلنا يعلم أن هذا الذي يمر بالمشاهد الجنسية المكشوفة هناك (أي أوروبا) غير عابىء بها ولا ملتفت إليها، قد تجده بعد ساعة يمارس العملية نفسها في مكان آخر. وهكذا فإن عدم الإكتراث والتأثر بمظاهر الإغراء، إنما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة في كل مكان وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما قد تبصره عيناه.](١).

إن الشهوة مع الإختلاط تصبح متنامية متصاعدة وإذا ما واتت الظروف ولم تكن هناك تقوى أو موانع فربما يصل الأمر إلى الممارسة الجنسية المحرمة كنتيجة طبيعية، فإن كثرة الرؤية والإختلاط تجعل المؤثرات في ديمومة ولا تنهي الشهوة في النفس.

إن الإسلام لا يتعامل بحسن الظن وحده ولكنه يتعامل بحسن الظن والحذر، فهو يربي على العفة ويطلب من المسلمين أن يثقوا ببعضهم ولكن ضمن حدود، ويربي على الحذر والحيطة تحت كل الظروف فقد احتاط الإسلام في موضوع الفتنة بين الرجال والنساء حتى في الصلاة فجعل أفضل صفوف الرجال أولها وأفضل صفوف النساء آخرها. وحسن الظن والحذر ضروريان لأن الناس

---

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٩٩ + ١٠٠.

يتفاوتون في مقدار تدينهم وتقواهم، بل إن الإنسان الواحد يختلف حالـه من وقت لآخر.

إن الغاية التي يهدف إليها الإسلام من غض البصر كما يقول صاحب الظلال هو إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه الغرائز في كل حين. فعمليات الإستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لا ينطفىء ولا يرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة. والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهجر ذلك السّعار الشهواني المجنون... وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الإستثارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوة الطبيعة دون استثارة مصطنعة][1]. إن الشهوة إذا استعرت قد يفقد الإنسان عندها إمكانية التفريق بين ما هو صحيح وما هو خطأ ولذلك وجب إغلاق كل منافذها. [قيل لإبنة الحسن: لم زنيت بعبدك ولم تزنِ بحر، وما أغراك به؟ قالت: طول السواد، وقرب الوساد» ولو أن أقبح الناس وجهاً، وأخبثهم نفراً، وأسقطهم همة، قال لامرأة قد تمكن كلامها وأعطته سمعها: والله يا سيدتي ويا مولاتي، لقد أتعبت قلبي، وأرقت عيني، وشغلتني عن مهم أمري، فما أعقل أهلاً ولا مالاً ولا ولداً. لنقض طباعها، وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالاً، وأكملهم كمالاً. وإنما قال عمر رضي الله عنه: اضربوهن بالعري لأن الثياب هي الداعية إلى الخروج من الأعراس، والقيام في المناحاة، والظهور في الأعياد. فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها، ولو كان بعلها أتم حسناً والذي رأت أنقص حسناً، لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه. وكانت مما لم تملّه وتستكثر منه أشد الوجد وهي به أشد استقبالاً.][1]

(عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما «أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنشدك بالله إلا قضيت لي بكتاب الله تعالى، فقال الآخر وهو أفقه منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله تعالى، وائذن لي، فقال ﷺ: قل،

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية ٢٣ /للأستاذ عبدالله ناصح علوان نقلاً عن كتاب في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب.

فقال: إن ابني كان عسيفاً على هٰذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هٰذا الرجم؟ فقال: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة، والغنم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام اغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هٰذا، فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها النبي ﷺ فرجمت] أخرجه الستة وقال مالك (العسيف): الأجير.(١)

إن اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة لا يمنع أياً منهما من طلب اللقاء ولو بعد فترة قصيرة، فالشهوة الجنسية تسكن باللقاء ولا تنطفىء، وهي منفصلة عما قبلها من تجارب إلا بما يبقى في الخيال من آثار تلك التجارب وطبيعة الظروف المصاحبة لتلك المواقف التي تعرض فيها الرجل أو المرأة للفتنة، ودليل ذلك أن الرجل يعيش مع زوجه عشرات السنين ولا يمل لقاءها جنسياً، ولو كانت الشهوة تقل أو تنتهي بالإلفة لما دام زواج أكثر من خمسة أعوام على أكثر تقدير. إن تعود الطرفين على بعضهما في غير الإطار الشرعي مسألة خطيرة لأنها تؤدي إلى عمق العلاقة الجنسية بدل سطحيتها وإلى زيادة الرغبة وإن كانت مكنونة وإلى زوال الحواجز من أمام التعبير عن هٰذه الرغبة إذا أتيح المجال و[إن الزنى بالفرج وإن كان أعظم من الإلمام بالصغيرة كالنظرة والقبلة واللمس لكن إصرار العاشق على محبة الفعل وتوابعه، ولوازمه، وتمنيه له، وحديث نفسه أنه لا يتركه، واشتغال قلبه بالمعشوق، قد يكون أعظم ضرراً من فعل الفاحشة بشيء كثير](٢).

إن الرجل أو المرأة قد يستحي كل منهما أن يتكلم مع الآخر في البداية في مواضيع متعلقة بالرغبة والإعجاب ولكن مع الوقت يزداد انكسار الحواجز ليصبح الحديث سهلاً ومع سهولته تحدث أمور أهمها زوال الحياء وانكشاف أعماق كل طرف من حيث رغبته في الآخر، إضافة لتكشف جوانب أكثر للإثارة وبالتالي تصبح الأمور أيسر للفتنة، وقد تصل الأمور أحياناً إلى حد الطلب والإجابة

---

(١) تيسير الوصول ١١ /ج ٢.
(٢) الدين الخالص ٤١٠ + ٤١١ /ج ٢.

لممارسات جنسية معينة. [إن النظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والنبرة المعبرة عن هٰذا الميل تثير. والطريق المأمون هو تقليل هٰذه المثيرات بحيث يبقى هٰذا الميل في حدوده الطبيعية ثم تلبى تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع](1) [فالجاذبية الجنسية التي قد أودعتها فطرة الرجل والمرأة ولها عليها سلطان لا ينكر، تزداد قوة واشتداداً باختلاط الجنسين وتتخطى حدوده بكل سهولة](2) ولذلك كان موقف الإسلام حاسماً وحازماً بالنسبة لكل عامل من عوامل الإفساد في المجتمع. وقاعدته في ذلك أن (كل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام)، [إن الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام إنما كان من أجل تعديل هاتين الشهوتين، على طريق صحيح يؤدي إلى قيام العمران وإلى انطلاق الدعوة إلى مداها، ألا وهما: شهوتا البطن والفرج](3).

إنه من غير المعقول أن يطلب رجل من فتاة الخروج معه لممارسة الزنى أو حتى مقدماته وما يسبقه من أمور بعد أول نظرة، ألا تكون فاسقة مومساً، ولكن مع مضي الوقت وعمق العلاقة قد يصل الأمر إلى هٰذا الحد، ولذلك فإن على الفتاة الحذر من بداية الطريق وقطع كل خيوط الفتنة من البداية.

وعلى الفتاة أن تدرك أن كثيراً من الشباب لا يستطيع الزواج هٰذه الأيام نظراً للظروف الإقتصادية الصعبة، إضافة لتغير مزاج الشاب مع الأيام في مواصفات المرأة التي يريد وتغير مزاج الفتاة نفسها في الرجل الذي تريد، وإن تعلقها بأي شاب هو خسارة لها هي، إذ أنها ستتعلق به وقد لا يستطيع الزواج منها أو لا يرغب بالزواج منها، فتبقى هي بعد زواجها من رجل آخر تفكر في الأول الذي ظنت أن سعادتها معه وتعلق به قلبها وبذلك تعيش في قلق دائم وعدم إستقرار وجفاء عاطفي ويبقى زواجها مهدداً بالدمار.

إن أي اختلاط يجب أن يكون في أضيق الحدود وبما لا يسمح لهٰذه العلاقة بالإستمرار ولئن أصرّت الفتاة المسلمة على سلوك هٰذا الطريق فإنها قد تنحرف،

(1) مسؤولية التربية الجنسية، ٢٤.
(2) الحجاب ٣١.
(3) اللقاء بين الزوجين ٨.

وقد تتزوج ممن أرادت ولكنها عند ذلك قد تتعرض لأن يتخلى عنها والداها ويحملاها مسؤولية زواج اختارته بنفسها وتحملت مسؤوليته وحدها، وعندها قد يوافق الوالدان على الزوج حفاظاً على الشرف والسمعة ولكنهما لن يقبلا بعد ذلك منك شكوى إضافة لجفاء المعاملة وضيق الصدر، بل إنك ستترددين عندها كثيراً بعرض أي مشكلة تواجهك مع زوجك على أهلك لأن المسؤولية هي مسؤوليتك وحدك. إن لإصرار على الإختلاط مع عمق العلاقة تحت مظلة الثقة بالمحبوب وتبادل الحب سيؤدي بك إلى الوقوع تحت طائلة الإبتزاز في المستقبل من جهات عديدة.

إن أهداف الإسلام من علاقة الرجل بالمرأة هي أهداف سامية، ولا يتجاهل الإسلام أنه قد يرغب رجل لسبب ما أو تحت ظرف ما بامرأة فيتزوجها، ولكن عليهم أن يجعلوا أهدافهم سامية كالإنجاب وغيره، وإلا كان هٰذا الزواج مهدداً بالإنتهاء، فإن انتهاء الرغبة والإعجاب أو انتفاء السبب يعني انتهاء الزوجية. إن أي زواج يجب أن لا يكون الهدف من وراءه فقط قضاء الشهوة، وإن كان هٰذا من أهم الدوافع للزواج خاصة عند الرجل، لأن الزواج الذي يعتمد على الشهوة فقط يقف عاجزاً أمام مشاكل الحياة الكثيرة خاصة وأن قضية الجمال والإعجاب يمكن أن تزولا بذهاب الجمال أو تكشّف عيوب كل طرف للآخر، حيث كان هذا عند الطرفين مزوياً حين كانا لا يريا في بعضهما البعض إلا جانب الجمال والرغبة.

إن الرسول ﷺ قد تزوج جويرية وكانت امرأة ملّاحة (أي مليحة وهي مبالغة في الملاحة) بعد أن وجدها مناسبة له كزوجة وكان الهدف من الزواج هو دخول قومها في الإسلام وكسبهم لصفه، فكانت بركة على قومها وتزوج الرسول ﷺ كذلك صفية وكانت جميلة ومن علية القوم بعد أن وجد لها القبول في نفسه، ولعل ذلك الزواج كان سعياً لدخول اليهود في الإسلام أو لأن المرأة كانت إبنة زعيم اليهود فأراد الرسول ﷺ ألا تقع في مغنم أحد من عامة المسلمين حيث لن يكون هناك توافق بينها وبينه لما تعودت عليه من مكانة وأسلوب حياة، ومما قد يكون سبباً في بعدها عن الإسلام بدل قربها منه.

عن معقل بن يسار قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه. ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم» أخرجه أبو داود والنسائي.

إن غياب الأهداف السامية لمعيشة الرجل والمرأة سوياً في إطار الزوجية مثل تربية الأطفال أو الحفاظ على قيم المجتمع أو السعي لإصلاحه أو غيره ليفقد الحياة الزوجيةمعناها ومن هنا كان اختيار الأَمَةِ المسلمة مفضلاً على المشركة الجميلة لأن طريق المسلمة الدعوة إلى الجنة وما يقرب إليها وأما الكافرة فطريقها الدعوة إلى النار وما يقرب إليها والعياذ بالله قال تعالى: ﴿**ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم**﴾ البقرة ٢٢١. وقال تعالى: ﴿**أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه**﴾ البقرة ٢٣١.

إن الممارسة الجنسية عنصر أساسي من عناصر الحياة الزوجية وضروري لبدئها ولاستمرارها ولكنه ليس العنصر الوحيد الذي يضمن استمراريتها، وإن كان نقصه قد يؤثر على الأسرة. يقول الإمام الغزالي [فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمناخ حصن للدين. وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين][1].

٣ ـ تنشئة الأطفال في البيئة الإسلامية النظيفة.

إن هذا الهدف من أهم مقاصد الإسلام السامية الأساسية للأسرة المسلمة حيث ينشأ لأطفال في جو من الإستقرار والتآلف والمحبة والأخلاقية المبدئية والتعاون.

إن جو الأسرة المسلمة إذا صاحبه مجتمع إسلامي نظيف يحقق أهداف الإسلام في تنشئة أجيال صالحة للمجتمع الإسلامي وللبشرية جمعاء. قال ﷺ [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم] أخرجه أبو داود والنسائي. و[إن

(١) إحياء علوم الدين ٤ /ج ٢.

النكاح فيه فوائد خمسة: الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن. فالفائدة الأولى، الولد: وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة.][1] وفائدة أخرى هي [السعي في محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح ويقول إنما أنكح للولد][2] وبتربية البنين تتكون الأجيال الفاضلة. قال إبن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «ما من أحدٍ يُدرك إبنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة»][3] رواه إبن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

إن دور المرأة في التربية ضروري جداً ولا يمكننا الإستغناء عنه وإلا خسرنا أجيالنا القادمة ولهذا يحبذ الإسلام عدم خروجها للعمل واهتمامها بالبيت [إذ أننا سنشغلها بالخارج فتهمل أمر البيت][4] وإن تربية الولد هي الهدف الأساسي من الأسرة ذلك [أنهما الأبوان اللذان يحبان أن يجدا الأولاد في حال أحسن من حالهما وعلى مكانة أرقى من مكانتهما، فيجتهدان من أنفسهما ـ بدون شعور أو إرادة ـ أن يجعلا الجيل اللاحق أحسن من السابق ويمهدان بذلك سبيل الإرتقاء الإنساني][5] [فعمل الرجل التعامل مع أجناس من الحياة أي مع (أشياء) أما مهمة المرأة فهي التعامل مع ذلك الجنس الراقي وهو الإنسان، تتعامل مع الإنسان كزوج فيسكن إليها وتريحه ثم تتعامل معه جنيناً في بطنها، ثم وليداً تحضنه، ووليداً ترضعه، ووليداً تعطي له المثل تربيه وتخرجه للحياة مزوداً بمبادىء القيم التي تصوغها في نفسه][6].

إنه بتحقق أسس الراحة النفسية التي سيرد ذكرها يتحقق كمال التربية

(١) إحياء علوم الدين ٢٥ /ج ٢.
(٢) إحياء علوم الدين ٢٦ /ج ٣.
(٣) إحياء علوم الدين ٥٥ /ج ٤.
(٤) المرأة كما أرادها الله ٢٢.
(٥) الحجاب ١٥٥.
(٦) الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل ٨٤.

الإسلامية الحقيقية في الأسرة المسلمة، وأما إذا ما وصلت الأمور في البيت الإسلامي إلى حالة انعدام الإستقرار وعدم قبول كل طرف للآخر، فلا بد عند ذلك من البحث عن أسباب الخلاف والسعي إلى الإصلاح بشتى الوسائل، وإن وجد أن ذلك غير ممكن فإن الطلاق هو الحل الأمثل، لأن الطفل يحتاج لأن يعيش في جو بعيد عن المنازعات، فأجواء الصراع أكثر ضرراً عليه من معيشته عند أحد الطرفين في جو من الحب من الطرف الذي يعيش في كنفه ومن الطرف الآخر ولو من بعيد، ولكن على الرجل والمرأة في هذه الحالة أن يتقيا الله فلا تزرع الأحقاد في قلوب الأبناء من قبل كل طرف على الآخر، وهنا يبرز دور التربية والتقوى عند الأب والأم، ويظهر دور حسن الإختيار، فإن عدم توافق الزوجين أمر ممكن، ولكن لا بد أن يتقي كل منهما الله في شريكه فيحفظ غيبته وعشرته. [لقد اعترف الإسلام بإمكان حدوث الشقاق والتصدع في مجال الأسرة، واهتم بعلاجه، ودرس أسبابه وسار مع الواقع إلى مداه. ولم يحاول أن يكبت أو يتجاهل، فالكبت والتجاهل لا يغنيان إزاء مشكلات الحياة](1) [فقد يحدث أن يشذ سلوك الزوجة وتنحرف في معاملة زوجها](2) [وقد يحدث أن يعزو الزوج اعوجاج في سلوكه أو ملل من زوجته فيبدو منه الكره وتفوح البغضاء](3) ولكن على أي حال فإنه [لا يجوز أن تستبد الكراهية بأحد الزوجين فيضار صاحبه بإيذاء الطفل المشترك بينهما](4) وإن عدم الرغبة أو تبين عيوب في الزوجة أمر وارد ويجب علاجه بالأسلوب الأمثل وهو الطلاق إن لم يكن استمرار الزواج بالإمكان.

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ تزوج إمرأة من بني غفار، فلما دخل عليها، ووضع ثوبه، وقعد على الفراش أبصر بكشحها بياضاً، فأماز عن الفراش ثم قال: خذي عليك ثيابك، ولم يأخذ مما آتاها شيئاً»](5) وقد يقول الرجل [وهذه المرأة تجني زائداً في

(١) الأسرة في الإسلام ٩٣.
(٢) الأسرة في الإسلام ٩٣.
(٣) الأسرة في الإسلام ٩٧.
(٤) الأسرة في الإسلام ١١٣.
(٥) زاد المعاد ٣٧ /ج ٤.

الحد، وتبالغ في خدمتي غير أن البغض لها مـركوز في طبعي قلت لـه: فعامـل الله سبحانه بالصبر عليها، فإنك تثاب][1] ولكن إن لم يكن الصبر ممكناً [فلذلك شرع الإسلام الطلاق، وهو التفريق بين الزوجين عند تعذر اجتماعهـما في حياة مشـتركة لما نشأ بينهـما من الأذى والكيد، ليكـون لكل منهما سبيله، وليرتفـع الضرر وينتفي الحرج، ولعل كلا منهما يوفق إلى من يعجبه ويرضيه ﴿وإن يتفرقا يغن الله كـلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ النساء ١٣٠][2] [إنه موقف محزن حقـاً، أن ينشأ الطفل وقد انفصل أبواه، وقد كان يود أنهما معاً، يتنقـل بين أحضـانهما وينعم ببرهما وحنانهما..! وقد كان الأولى بالـزوجين أن يحـرصا عـلى مستقبل الـولد وأن يرتفعا عن الخصومة والشقاق، رعاية لما يتطلبه النـاشيء من مزيـد الحنان والحب. ولكنـه إذا لم يمكن اجتماعهـما، فليختف الكيد والإضرار وليؤد الحق والـواجب فلا يضيع الطفل ولا يهان][3] [إن العلاج الناجع هو تطهير النفوس وتهذيبها وإصلاح الأخلاق وتزكيتها، حتى لا يفرط أحد ولا يطغى][4] [إن المعـروف الذي تـأمر بـه الآيات، والتشاور في مصلحـة الطفـل والتراضي عـلى مستقبله يكشف عن عنايـة الإسـلام بهذه المـرحلة القلقة واهتـمامه بـرفع العـوائق وخضد الأشواك][5] [عن محارب بن دثار: أن رسول الله ﷺ قال: ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» أخرجه أبو داود مرسلاً].

ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيـل له مـا الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال مالي ولامـرأة غـيري فهذا بيـان ما عـلى الزوج][6]: إن الطفـل يمكن أن ينشـأ في كنف أحـد الطرفين نشأة كاملة ولكنه في ظل الطرفين يكون بناؤه أكمل وأجمل، وأمـا إن تعذر وجود الطرفين فلا يعني ذلك أن الطفل الذي ينشأ في كنف طرف واحد هو إنسـان

---

(١) صيد الخاطر فصل ٢٩٧. صفحة ٤٨٨.

(٢) الأسرة في الإسلام ١٠٠.

(٣) الأسرة في الإسلام ١١٦.

(٤) الأسرة في الإسلام ١٢٩.

(٥) الأسرة في الإسلام ص ١١٤.

(٦) الاحياء ٥٨، جـ ٢.

ناقص التربية، وإلا كيف يتربى من يموت أبوه أو أمه أو كلاهما وهو صغير. إن انفصال الأب والأم مأساة، ولكنه لا يعني وحده تشرد الأطفال لو قام كل بواجبه، وإن وجود عوامل أخرى اجتماعية هو الأهم في هذا الموضوع.

إن ضعف تربية الأطفال ينشأ من الإهمال من قبل الأب أو الأم ومن أجواء النزاع وتردد العاطفة عند الطفل بين الطرفين وإن انفصال الطرفين في ظل التقوى ومخافة الله في بعضهما مع عدم زرع الأحقاد والضغائن يؤدي لنشوء الطفل كأي طفل آخر في المجتمع. أما الإعداد الدعوي والجهادي لأبناء الأسرة فهو ركن هام من أركان التربية، فإن إعداد الأطفال لمواجهة الحياة عموماً والسير في سبل الخير هو الهدف من الأسرة في تنشئة الأبناء ولكن من أهم جوانب هذه التنشئة أن يعدّ الأطفال لممارسة الدعوة للإسلام والجهاد في سبيل الله جل وعلا.

إن الهدف من الأسرة أن ينشأ الأبناء على حب ربهم ودينهم ونبيهم وعلى حب الإصلاح وبناء المجتمع ثم الحركة بالدعوة لتبليغ الدين للناس وحب الخير لهم، ثم على الجهاد في سبيل الله وحب الإستشهاد في سبيل رفع لواء الدين.

إن الأمة المسلمة أمة مجاهدة تتحرك باستمرار لتبليغ الإسلام لكافة الأمم [قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾**] سبأ ٢٨. وقال تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** التوبة ٢٩.

إن المرأة التي ترى سعادتها في صيانة شرفها، تعرف كيف تربي أولاداً يصونون شرف الأمة، والمرأة التي ترى سعادتها في إشباع لذائذها تربي أولاداً أسهل شيء عليهم أن يخونوا شرف الأمة في سبيل إشباع أهوائهم، وشتان بين جيل يصون شرف الأمة وبين جيل يخونه][1] [وجاء في كتاب (طريق النصر في معركة الثأر) للواء الركن محمود شيت خطاب قوله: «الذي أعلمه علم اليقين،

(١) هكذا علمتني الحياة رقم ٥٣٨.

ولا شـك فيه أبـداً، هو أن الملوث جنسيـاً أو الملوث جيبياً، لا يمكن أن يقـاتل في الحروب كما يقاتل الرجال][1].

٤ ـ سعادة الرجل والمرأة:

إن من أهم أهداف الإسلام الأساسية في نطاق الأسرة سعادة الرجل والمرأة. قال تعالى: ﴿**ليسكن إليها**﴾ الأعراف ١٨٦. وقال تعالى: ﴿**هن لبـاس لكم وأنتم لباس لهن**﴾ ١٨٧ وقال تعالى ﴿**أزواجاً لتسكنـوا إليها**﴾ الـروم ٢١. والسعادة كممارسة ومفهوم لا يتفق عليه كثير من الناس حتى الآن، ولكن الأساس فيها في مجال علاقة الرجل بالمرأة هو الراحة النفسية والإطمئنـان والرضى والقبـول من قبل الطرفين كل لـلآخر، فهـذا رسول الله ﷺ لم يجـد في نفسه القبـول لامرأة عرضت نفسها عليه بينما وجدته عند صحابي آخر. [فعن سهل بن سعد رضي الله عنـه قال: [جـاءت امرأة إلى رسـول الله ﷺ فقالت: يـا رسول الله، جئت أهب نفسي لك. فنظر إليها فصعّد النظر فيها وصوبه وطأطأ رأسه فلما رأت أنه لم يقض فيهـا شيئاً جلست فقـام رجـل فقـال: يـا رسـول الله إن لم يكن لـك بهـا حـاجـة فزوجنيها، فقال: فهل عنـدك من شيء؟ فقال: لا، والله يـا رسول الله. فقـال: إذهب إلى أهلك فانظر هـل تجد شيئـاً فذهب ثم رجـع فقال: لا، والله يـا رسول الله؟ ما وجدت شيئاً. فقال: انظر ولو خاتماً من حديد. فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد. ولكن هٰذا إزاري. قال سهل: ماله رداء، فلهـا نصفه فقـال ﷺ: ما تصنـع بإزارك إن لبستـه لم يكن عليها منـه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا أطال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعي فقال: ماذا معـك من القرآن؟ قـال: معي سورة كـذا وكذا، عددهـا. فقال: تقرؤهن عن ظهر قلبـك؟ قال: نعم. قـال إذهب، فقد ملكتها] [وفي رواية أنكحتكها بما معك من القرآن] أخرجه الستـة][2].

---

(١) الإسـلام والجنس ٦٦. /للأستـاذ فتحي يكن نقلاً عن كتـاب طريق النصر في معـركة الثـأر للواء الركن محمود شيت خطاب.

(٢) تيسير الوصول ٥٢.

إن نفس الرجل ولا شك تميل للفتاة البكر ولكنها تجد القبول للثيب أيضاً [فعن جابر في حديث طويل أنه قال: قال رسول الله ﷺ حين استأذنته: هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟ قلت: بل ثيباً. قال: هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك. قلت: يا رسول الله: توفي والدي ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن، فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن. الحديث أخرجه الخمسة][(1)]، وبتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة تتم إزالة منغصات السعادة. [فعن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «ولا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً، ولا تعزل فراشه، ولا تضربه، فإن كان هو أظلم، فلتأته حتى ترضيه فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلج حجتها، ولا إثم عليها. وإن هو لم يرضَ فقد أبلغت عند الله عذرها» رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، كذا قال. أفلج بالجيم: أي أظهر حجتها وقواها][(2)]. إن أساس السعادة كما ذكرت هو الراحة النفسية ضمن إطار الأسرة وإن أهم أسس الراحة النفسية هي:

١ ـ طمأنة الرجل والمرأة على: أ ـ الأجل. ب ـ الرزق. جـ ـ سير الأقدار.
٢ ـ وضع أسس إستقرار الزواج وديمومته من خلال:

أ ـ إباحة رؤية الرجل للمرأة والمرأة للرجل قبل الزواج.
ب ـ التشجيع على الزواج من البكر أو الثيب حسب رغبة وظروف الرجل.
جـ ـ إيجاب إيفاء الشروط، وتنظيم العلاقة بين لطرفين.
د ـ التشريعات الوقائية والعلاجية لمنع الفتنة وانتشارها.
هـ ـ توافق الدين والمكافأة بين الأزواج.
و ـ القناعة بأن هذه إرادة الله في شريك الحياة.

لقد طمأن الإسلام الرجل والمرأة على أمور هامة هي الأجل والرزق فبين

---

(١) حسن الأسوة ٢٤١.
(٢) حسن الأسوة ٥٠١.

لهما أن كلا الأمرين ليسا في يد أحد إلا الله قال تعالى: **﴿هـو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فـإنما يقـول له كن فيكـون﴾** غافـر ٦٨. وقال تعـالى: **﴿إن يكـونوا فقـراء يغنهم الله من فضله﴾** النور ٣٢. وقـال تعالى: **﴿ومـا كـان لنفس أن تمـوت إلا بإذن الله كتـاباً مؤجـلاً﴾** آل عمران ١٤٥ وقـال تعالى: **﴿إن الله هـو الرزاق ذو القـوة المتين﴾** الـذاريات ٥٨ وقـال تعـالى: **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾** الذاريات ٢٢.

وطمأن الإسلام المسلم تجاه الأقدار المكتوبة وبـين له أنها من الله جـل وعلا وأثابه بـالصبر عليهـا وبين لـه أنها لخيره إن صـبر عليها وأنها جـزء من توازن هـٰذا الكون. ففي حديث إبن عباس ورواه الترمذي وغيره [واعلم أن مـا أخاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك][1] وقال تعالى في ثـواب الصابـرين: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** الزمر ١٠.

[قال إبن عباس رضي الله عنهما: اختلف الناس في كل شيء، إلا في الرزق والأجـل فـإنهم أجمعـوا عـلى أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعـالى][2] [وإن مجـرد التوحيد بالإعتقاد لا يورث حال التـوكل] [وحـاصله أن ينكشف لك أن لا فـاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقـر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه إسم فالمنفـرد بإبـداعه واخـتراعه هـو الله عز وجـل لا شريك له فيـه وإذا انكشـف لك هـٰذا لم تنظر إلى غـيره بل كـان منه خـوفك وإليـه رجاؤك وبه ثقتك وعليه إتكـالك فـإنه الفـاعل عـلى الإنفراد دون غـيره وما سـواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكـوت السموات والأرض][3] [قـال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الـرزق عن المفروض عليـك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك. وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الـرزق مأمـور بطلب العبـد][4]

(١) الأربعين النووية صفحة ٣٧ الحديث التاسع عشر.
(٢) الإحياء ٢٦٠ /ج ٤.
(٣) الإحياء ٢٤٢ /ج ٤.
(٤) الإحياء ٢٣٩ /ج ٤.

[والقران يغذي هذا الإحساس ويقويه بإطلاق مشاعر الإنسان عن الإنشغال بهم الرزق ومن شح النفس. فالرزق في ذاته مكفول. تكفّل به الله تعالى لعباده][1] بل إن الإسلام يعتبر الزواج سبباً للعون من الله والرزق [فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف» وقد رأيت في بعض الكتب والله أعلم بصحة الخبر أن رجلاً شكا الفقر إلى رسول الله ﷺ فأمره بالنكاح فتزوج ثم شكا إليه فأمره بالنكاح فتزوج ثم شكا إليه المرة الثالثة فأمره بالنكاح فتزوج ثم شكا إليه فأمره بالنكاح فتزوج رابعة فإذا هي غزالة تجيد الغزل وتحسنه فعلمت ضرائرها الثلاث صناعة الغزل فكن يغزلن كلهن وحسن حال الرجل حين أضحى بيته معملاً للغزل وروى البزار والخطيب وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قوله الكريم: «تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال»][2].

ثم وضع الإسلام في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة أسساً تضمن الإستقرار للحياة الزوجية فأباح للرجل والمرأة أن يرى كل منهما الآخر بداعي الخطبة قال تعالى: ﴿**ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً**﴾ البقرة ٣٥. وقال ﷺ [فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] من حديث المغيرة أخرجه الترمذي والنسائي. ولقد شجع الرسول ﷺ على زواج البكر من البكر فذلك أدعى لاستقرار الزواج [«هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» من حديث جابر وأخرجه الخمسة] ذلك أن المرأة الثيب عليمة من أمر الزواج ما لا يعلمه الرجل العزب مما قد يتسبب بعدم الإنسجام بينهما إلا بعد فترة أو نتيجة مقارنة المرأة الثيب زوجها الجديد بالقديم أو لأن البكر تحس بزوجها الأول إحساساً نفسياً أعظم من الثيب مع زوجها الثاني. [عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة، قال: تزوج رجل بامرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ أنظرت

---

(١) طريق الدعوة ٣٩٠.
(٢) رحمة الإسلام بالنساء ٤١.

إليها؟ قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً، أخرجه مسلم والنسائي][1].

يقول إبن الجوزي حول ضرورة البحث عما يبعث الإستقرار والراحة في نفس الزوج [«وقد نجد صحيح المزاج يخرج ذلك (أي المني) إذا اجتمع وهو بعد متقلقل، فكأنه الأكل الذي لا يشبع. فبحثت عن ذلك فرأيته وقوع الخلل في المنكوح، إما لدمامته أو قبح منظره، أو لآفة فيه، أو لأنه غير مطلوب للنفس، فحينئذ يخرج منه ويبقى بعضه. فعلم حينئذ أن تخير المنكوح يستقصي فضول المني، فيحصل للنفس كمال اللذة، لموضع كمال بروز الفضول][2].

وتحقيقاً للإستقرار والتفاهم نظم الاسلام العلاقة بين الزوجين وأوجب إيفاء الشروط [عن عمر رضي الله عنه، قال: إذا تزوج الرجل المرأة وشرط لها أن لا يخرجها من مصرها، فليس له أن يخرجها بغير رضاها. أخرجه الترمذي. وعن علي أنه سئل عن ذلك؟ فقال: شرط الله قبل شرطها. أخرجه الترمذي][3] [وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج»][4] أخرجه الخمسة ثم بيّن الإسلام أن توافق الدين أساس في السعادة الزوجية واستقرارها مع الحث على المكافأة بين الأزواج لمزيد من الضمان لهذا الإستقرار. قال تعالى ﴿**ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم**﴾ البقرة ٢٢١.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع خصال: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين، تربت يداك» أخرجه الخمسة إلا الترمذي. حسب الإنسان: ما يعد من مفاخر آبائه، وقيل: هو شرف النفس وفضلها. وقوله: تربت يداك: أي التصقت بالتراب من الفقر، وهذا الدعاء وأمثاله كان يرد من العرب بغير قصد الدعاء بل في معرض المبالغة في

(١) حسن الأسوة ٤٣٣.
(٢) صيد الخاطر فصل ٢٨ ص ٤١.
(٣) حسن الأسوة ٤٤٨.
(٤) تيسير الوصول ٥٦ /ج ٣.

التحريض على الشيء والتعجب منه، ونحو ذلك][1].

وعن إبن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» أخرجه مسلم والنسائي][2].

ولقد بين الإسلام للمسلم أنه لن يتزوج إلا من كتب الله عز وجل وأراده له من النساء [رفعت الأقلام وجفت الصحف] [فالزوجات حظوظ الأزواج في الدنيا ومهما حاول الزوج حسن الإختيار، فإن حظه في زوجته من صنع الأقدار][3].

كما وضع الإسلام تشريعات تضمن طهر الأجواء من حول الأسرة المسلمة بحيث يضيق على الفتنة ويحال بينها وبين الرجل والمرأة. ولقد مر ذكرها تحت بند عدم الوقوع في الحرام وهو البند الثاني من أهداف الزواج الإسلامي.

إن السعادة الزوجية هي هدف هام من أهداف الزواج الإسلامي وهذه السعادة لها مفهوم ومضمون وطريق. وإن السعادة الزوجية في الإسلام ليست هي السعادة الناتجة عن العلاقة الجنسية وإن كان ذلك جزء هام منها، ولكنها تكمن في قبول كل طرف للآخر ضمن إطار من الحلال، وقناعة كل طرف بالآخر، ومعيشة الطرفين نوعاً من الإستقرار النفسي والإجتماعي والجنسي والإقتصادي، مع شعور كل طرف بأن الآخر هو ما يناسبه ويرتاح إليه مع توافق في الدين والطباع. [روى إبن ماجة عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء - مثقوبة الأذن - سوداء ذات دين أفضل»][4] إن الإختلاف على مسألة الدين قليل في مجتمعاتنا الحالية، فعادة يبحث صاحب الدين عمن توافقه في هذا المجال، وإنما يحدث الإختلاف إذا كان هناك فرقاً واسعاً بين الطرفين في هذا المجال، وأما خلاف

---

(١) حسن الأسوة ٤٣٢.

(٢) حسن الأسوة ٤٣٢.

(٣) هكذا علمتني الحياة ٤٨٠.

(٤) رحمة الإسلام بالنساء ٤٤.

الطباع والعادات فهو السبب في كثير من حالات الزواج الفاشلة ولذلك فإنه يجب على الرجل أن يعرف الكثير عن طباع زوجته ويقدّر هذا الأمر حق تقديره وهي كذلك، وعلى عائلات الطرفين أن يبيّنوا لهم ذلك ويوضحوه فإن الصراحة في البداية خير من الفشل في النهاية، [سأل رجل الحسن رضي الله تعالى عنه عمن يزوج ابنته؟ فقال: عليك بصاحب الدين فإنه إذا أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يهنها][1] إن أهل الفتاة أعلم الناس بها وكذلك أهل الفتى، والنساء أعلم بالنساء والرجال أعلم بالرجال، وإن فترة الخطبة الشرعية، أو الإختلاط غير الشرعي كلاهما عادة لا تحقق التعرف الحقيقي لكل طرف على الآخر مهما طالت المدة، والدور في البحث عما يناسب للطرفين هو على النساء والرجال من أقارب الزوج والزوجة [فلقد جعل الإسلام الخطبة وسيلة للتعرف على الصفات الحسية التي يهم الرجل الإطمئنان إليها][2] ولا يرى الإسلام بأساً [بأن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكراً فذلك أحرى وأولى بالإلفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما][3]

[عن المغيرة رضي الله عنه «أنه خطب إمرأة فقال له النبي ﷺ انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] أخرجه الترمذي والنسائي «أحرى» أي أجدر، «أن يؤدم بينكما» أي يجمع بينكما وتتفقا على ما فيه صلاح أمركما[4]. [وإن كان هناك أمور فوق الحاجة وإذا لم يمكنه النظر إليها استحب أن يبعث امرأة يثق بها تنظر اليها وتخبره بصفتها فقد روى أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعث أم سليم رضي الله عنها إلى امرأة فقال «أنظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها» وهي ناحيتا العنق وفي رواية (شمي عوارضها» وهي الأسنان التي تكون في عرض الفم وهي ما بين الثنايا والأضراس][3] [وإن الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلف الظاهر الذي يبديه

---

(١) رحمة الإسلام بالنساء ٣٦.

(٢) الأسرة في الإسلام ٢٨.

(٣) الإحياء ٣٧ /ج ٢.

(٤) تيسير الوصول ٣١٢ /ج ٤.

(٥) رحمة الإسلام بالنساء ٤٧ + ٤٨.

كل واحد منهما إلى الآخر، وكم سمعنا عن رجال ونساء بقوا في الخطوبة سنين، فلم تمض فترة زمنية على الزواج من بعضهم بعضاً وإذ تحدث الفرقة ويقع الطلاق! فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة؟ ألا فليتذكر أولو الألباب][1]

[يقول عمر: أمرو النساء في بناتهن. أي أن الرجل لا يعقد الصفقة في بنته ويزوجها دون أن يكون لأمها رأي، فأمها هي الأنثى وهي التي تعلم روح إبنتها، وهي التي تعلم آمالها وهي التي تفتح البنت أسرارها لها][2]. إن اطمئنان الرجل إلى زوجته ومحافظتها على عرضه وماله وسعادته واطمئنان المرأة إلى نزاهة زوجها وحرصه على سعادتها وعلى بيتها هما أساس في السعادة الزوجية ولذلك فإن السعي يجب أن يكون عما يحقق السعادة للطرفين وليس مجرد تحقيق الزواج لأي من الطرفين ولتحقيق هذا فإنه لا بد أن يكون الزوج من اختيار الزوجة وبموافقتها إلا أن يكون فاسقاً فعلى الأهل عند ذلك أن يرفضوه، حتى ولو قبلت به الفتاة. ولا بد كذلك للزوج من القدرة ضماناً للسعادة الزوجية وهذه القدرة ذات جوانب شتى منها المادية والجنسية والإجتماعية وعلى الزوج أن يحترم بشريتها وإنسانيتها وأن يكون على استعداد للتعايش مع طرف آخر وللتنازل عن بعض الخصوصيات. إن البحث عما قد يحقق السعادة ويوفر متطلباتها هو الأساس في الإختيار، وإن الخطبة والإختلاط غير الشرعي كلاهما عادة يكون مملوءاً بالتزييف لأن كل طرف يحاول إظهار إيجابياته فقط بدافع الفطرة، وهذا لا يحقق إلا نوعاً من القبول المبدئي للشكل أو بعض الطباع. وإن التزييف في فترة الخطبة أو الإختلاط هذه الأيام أكبر لأن الأوضاع المحيطة بالزواج هذه الأيام أكثر صعوبة من حيث قلة إقبال الشباب على الزواج ولذلك تحرص الفتاة على خطيبها لتحقيق الزواج بأي ثمن، ففي حين يسعى الشاب الذي لا يملك قدراً كافياً من الإمكانات لإظهار فوق ما يملك خاصة إذا كانت الفتاة ذات جمال أو مستوى أعلى من مستواه الإجتماعي، تسعى الفتاة للإحتفاظ بخطيبها وتقديم الكثير من التنازلات مع إخفاء العيوب لئلا يفوتها قطار الزواج تحت ظروف قلة الإقبال نتيجة الظروف المادية الصعبة.

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية ١٩.

(٢) المرأة كما أرادها الله ٢١.

إن سعي أهل الفتاة خاصة يجب أن يكون لاختيار الأصلح لابنتهم لأن مشكلتها في ضوء الواقع الحالي أكبر، إذ أنها الطرف الذي يخسر لا سمح الله إن فشل الزواج، ولذلك فإن عليهم الإطمئنان لدين الرجل وأخلاقه وطباعه وأحواله النفسية والمادية والجسدية، وعلى الزوج أن يبحث عما يوافقه في الطباع. [وكما اشترط الإسلام قبول المرأة للزواج اشترط اقتناع وليها ورضاه. وذلك ضماناً لسلامة الإتجاه وابتعاداً عن النوازع الخاطئة والأهواء الجامحة فقد يخفى وجه الحقيقة على الفتاة أو تندفع وراء الأوهام والعواطف فتصدم بعدُ بسوء العاقبة ومرارة الواقع][1] [فإذا استثني الكافر والعبد، فالمرأة لها الحرية في انتخاب زوجها من أحرار المسلمين، ولكنه يجب عليها في هذا الأمر أيضاً أن تراعي رأي أبيها وجدها وأخيها وسائر أوليائها][2].

[عن إبن عباس رضي الله عنهما: [أن رسول الله ﷺ قال: الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها] أخرجه الستة إلا البخاري][3] [وعن عائشة رضي الله عنها. [أن فتاة قالت، يعني للنبي ﷺ إن أبي زوجني من إبن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة. فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها، فجاء، فجعل الأمر إليها. فقالت يا رسول الله: إني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أُعلِمَ النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء] أخرجه النسائي «ليرفع بي خسيسته» الخساسة: الدناءة، والخسيسة: الحالة التي يكون عليها الخسيس، وهو الدنيء: أي ليرفعه به..][4] [قال عليه السلام «النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته» حديث موقوف على عائشة والإحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الإختيار وقال عليه السلام «من زوج

---

(١) الأسرة في الإسلام ٣٤.

(٢) الحجاب ٢٣٨.

(٣) تيسير الوصول ٣١٧ /ج ٤.

(٤) تيسير الوصول ٣١٨ /ج ٤.

كـريمته من فـاسق فقد قـطع رحمها»](1) بـإسناد صحيـح رواه في الثقـاة في قـول الشعبي.

[وقـد يظن الآبـاء والأمهات أن تـبرج بنـاتهن واستعـراض جمـالهن يعجـل بزواجهن، فيعرضـون لذلـك بناتهم كـما يعرض التـاجر سلعتـه للبيع، ولم يفـطن هؤلاء الآبـاء والأمهات إلى أن الـذي يطلب الـزواج بابنتهم لجمالها ودلالهـا، ولا يستنكر تجردها من الحياء والإحتشام، وخروجهـا على آداب الإسـلام، فهو رجـل فـاسق شهواني يبحث عن جسم جميـل خليع ليتمتـع ولا يعبأ ولا يبحث عن قلب سليم تقي ليسعـد، فلن يكون هـذا الرجـل زوجاً صـالحاً](2). ومن أجـل تحقيق السعادة فلا بد من الكفاءة بين الزوجين وأن لا تكره الفتاة على الزوج إن كان فيـه عيب [فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: لا أمتعن فروج ذوي الأحسـاب إلا من الأكفاء» وقولـه: «لا تكرهـوا فتياتكم عـلى الرجـل القبيح فـإنهن يحببن ما تحبون»](3).

إن قضايا المال والجمال والجاه أمور هامة ولكنها ثانوية أمام اختلاف الطباع، والأصـل في الدين أن يهـذب من هٰذه الـطباع، ولكن يبقى حـدٌ لا بد من التـأكد منه، فإن الدين لا يلغي شخصية الإنسـان وما جبـل عليه من طبـائع أصيلة [عن أبي هـريرة رضي الله عنـه عن رسول الله ﷺ «خيـارهم في الجـاهلية خيـارهم في الإسلام إذا فقهوا» متفق عليه](4) [فإن من المستحيل تبديل الطبائع كـما يستحيل تبديل الاشكال، ومن يخلقه الله كما أراد لا يبدله الإنسان كما يريد](5).

ورغم عناية الإسلام بالدين كشرط أساسي للزواج والسعادة والإستقرار إلا أن [حسن الوجه أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بـالدميمـة غـالباً كيف والغـالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقـان وما نقلنـاه من الحث على

---

(1) الإحياء ٤٣ /ج ٢.

(٢) التبرج ٤١.

(٣) الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل ٧١.

(٤) رياض الصالحين ٣٦.

(٥) هكذا علمتني الحياة ص ١٤٤ رقم ٧٣٧.

الـدين وأن المرأة لا تنكـح لجمالهـا ليس زاجراً عن رعـاية الجـمال بل هـو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فإن الجمال وحده في غالب الأمـر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل عـلى الإلتفات إلى معنى الجـمال إن الإلف والمودة تحصل به غالباً وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الإلفة. قال الأعمش: كل تزويـج يقع عـلى غير نـظر فآخـره هم وغم ومعلوم أن النظر لا يعـرف الخلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من القبح][1] [أما الخصال المـطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية: الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكـون قرابـة قريبـة، الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهٰذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الإعتناء فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشـوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلـك عيشه فـإن سلك سبيل الحميـة والغيرة لم يـزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاوناً بدينه وعرضه ومنسوبـاً إلى قلة الحمية والإنفة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق عـلى الزوج مفـارقتها فـلا يصبر عنهـا ولا يصبر عليهـا ويكون كـالذي جـاء إلى رسـول الله ﷺ وقـال يـا رسـول الله إن لي امرأة لا تـرد يـد لامس قـال: طلقهـا فقـال: إني أحبهـا قـال: إمسكها. وإنما أمره بإمساكها خوفاً عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضاً معها، فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مـع ضيق قلبه أولى وإن كـانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشاً معه فإن سكت ولم ينكره كأن شريكاً في المعصية مخالفاً لقوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ وإن أنكر وخاصم تنغص العمـر. ولهٰذا بـالغ رسـول الله ﷺ في التحريض عـلى ذات الدين وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هٰذه المرأة تكون عوناً على الدين فـأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلـك أصل مهم في طلب الفراغـة والإستعانـة على الـدين فإنها إذا كـانت سليطة بـذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسـان النساء مما يمتحن به الأولياء. قال بعض العرب: لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة

---

(١) الإحياء ٣٩ + ٤٠ /ج ٢.

ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة. أما الأنانة فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح المراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه، والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا، والحنانة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهٰذا أيضاً مما يجب اجتنابه، والحداقة التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراؤه، والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهٰذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنه، والشداقة المتشدقة[1] الكثيرة الكلام][2]. إن كل هٰذه الصفات لا يمكن معرفتها من خلال الإختلاط المملوء بالزيف ولكن من خلال الأقارب والجيران وهو الطريق الصحيح للتعرف على الصفات.

وإن الزوج المثالي في نظر الإسلام فهو الذي تجتمع فيه صفات الإنسانية الفاضلة وأخلاق الرجولة المكتملة، فينظر إلى الحياة نظرة صادقة ويسلك فيها السبيل القويم وليس هو الذي يمتلك الثروة أو يكلف بحسن المظهر والجاه دون أن يشفع ذلك بموهبة فضل أو عنصر خير.][3]

[إن حكمة الإسلام لم تضع حداً لفارق السن بين الزوجين، فذلك مما تتنبه له العقول السليمة وتعيه الإرادة الحكيمة، والناس في هٰذا مختلفون، فكم من متقدم في السن أكثر قدرة على القيام بواجباته الزوجية، وأكثر إستعداداً لإسعاد زوجته وملء بيتها رغداً وهناء من كثير من الشباب. إلا أن بعض الناس قد تعميهم المصلحة العاجلة عن الضرر الآجل، وتهمهم مصالح أنفسهم قبل مصالح أبنائهم وذويهم، وقد يرون في الثروة والجاه وسيلة للسعادة دون الفتوة والقوة والشباب، فيقدمون على تزويج بناتهم من شيوخ يعجزون عن القيام

(١) الإحياء ٣٨ + ٣٩ /ج ٢.
(٢) الإحياء ٣٩ /ج ٢.
(٣) الأسرة في الإسلام ٢٦.

بواجباتهم الزوجية، ويستحيل أن تكون حياة الفتاة معهم حياة قلب وروح، بل حياة أشباح تتهاوى، وقبور تفتح لتستقبل أصحابها. مثل هؤلاء يسيئون إلى بناتهم بالغ الإساءة، والشريعة وإن لم تنص بصراحة على منعهم عن هذا العمل إلا أن روحها وأهدافها التي أعلنتها من شرع الزواج تمنعهم منه وتشنع عليهم صنيعه](1) [إن من صدق الإسلام وصراحته أنه قرر للمرأة حقها في طلب الزواج ممن ترغب ما دامت ترعى الأسس الصالحة في الإختيار](2) [وليس في خطبة المرأة للرجل ما يشينها أو يحقر منزلتها، فالزواج علاقة مشتركة لا يتعين أن يكون الرجل هو البادىء فيها، وما دامت المرأة لا تميل مع الهوى ولا تفتتن بالظواهر فلا بأس عليها ولا خطر منها](3) [وقد كره الإسلام الإقدام على الزواج دون نظر وتثبت، خشية تقطع العلاقات عند تبين الحقيقة](4) [وينبغي أن يراعي الرجل في الإختيار ملاءمة البيئة وكفاية مهمها، فإن كان في بيئة تستلزم الصناع فلا يتعلق بالمترفة](5).

[إن مبنى الإختيار إعتبار سلامة العقيدة والخلق والإتجاه، قبل إعتبار الوضاءة والجمال، وهذا لا يعني إهدار قيمة الجمال في الزوجة أو الحرص على القبح! بل يعني شمول النظرة التي يوجهها الخاطب إلى فتاته، ورعاية المهم عند تورع الصفات](6). [قال بعضهم: من تزوج غنية كان له منها خمس خصال: مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك. وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق. وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح

---

(1) المرأة بين الفقه والقانون ٦٣ + ٦٤.
(2) الأسرة في الإسلام ٣٠.
(3) الأسرة في الإسلام ٣٠.
(٤) الأسرة في الإسلام ٢٩.
(٥) الأسرة في الإسلام ٢٥.
(٦) الأسرة في الإسلام ٢٢.

الخلق][1] [فينبغي للعاقل أن يتخير إمرأة صالحة من بيت صالح، يغلب عليها الفقر لترى ما يأتيها كثيراً، وليتزوج من يقاربه في السن][2] [وهكذا نرى أن الإسلام يوصي في اختيار الزوجة بالبحث عن الحقيقة الراسخة والحرص على الدعائم القوية، التي يمكن أن يعتمد عليها بناء الأسرة فلا يناله الوهن ولا يصيبه الإنهيار][3] [عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» أخرجه مسلم والنسائي][4].

(١) الإحياء ١٠٠ /ج ٣.

(٢) صيد الخاطر.

(٣) الأسرة في الإسلام ٢٥.

(٤) تيسير الوصول ٣١٠ /ج ٤.

الباب الثالث

أثر الإنفتاح في العلاقات
بين الرجل والمرأة في المجتمعات
الحديثة على المسلمين

- مجتمع قاس.
- مقارنة مدمرة.
- خروج غير محمود.
- علاقة الحب بالجنس ودور الإختلاط في نشوء علاقة الحب.
- البعد المشؤوم.
- إعلام هدّام.
- جيل وجيل.

١ ـ مجتمع قاسٍ

إن المجتمع الذي نعيش فيه هٰذه الأيام ليقسوا على الرجل والمرأة قسوة ما بعدها قسوة، فهو يعرض الفتنة في كل مكان، في الشوارع والمؤسسات وفي علاقات الأسر ببعضها، وفي كثير من الأماكن التي يفترض على الإنسان المسلم أن يدخلها كل يوم، ثم بعد ذلك يقول له إياك والخطأ فإنك ستعاقب وتسجن أو تقتل أو تشوّه سمعتك. . إلى آخره. وإن الإسلام لم يضع حد الزنى ووقف عند ذلك، ولكنه [حرم شتى أنواع ووسائل الإغراء التي من شأنها إثارة الغرائز وإشاعة الفاحشة. كل ذلك في سبيل أن يعيش الإنسان في مجتمع نظيف لا أثر للضغوط الخارجية فيه على أعصابه. مجتمع يعين الإنسان على سلوك سبيل الفطرة. يعينه ولا يعين عليه.][1] فالرجل عندما يخرج من بيته يرى آلاف النساء وكثير منهن أجمل من زوجه، وكثير منهن بحكم الخروج للعمل وضرورة الظهور بمظهر لائق تبدو أكثر فتنة وجمالاً منها في بيتها، فالمرأة تخرج بكامل زينتها في حين تبدو لزوجها بمظهرها العادي دون رتوش وبملابس المنزل. وعند الذهاب للعمل لا يسمع الرجل من زميلته أو ممن يراهن إلا الجانب الجميل في المرأة، فهو يرى اللطف في المعاملة والرقة في الكلام والحرص على عدم ظهور العيوب، بينما كل هٰذا قد يقلّ أو ينعدم في البيت نتيجة مصاعب الحياة التي يواجهها البيت أو نتيجة ظروف معينة أحاطت ذلك الزواج، ولقد [وصل بنا الحال اليوم أن انقلبت الأوضاع فصار البيت محل الحجاب والشارع محل إبداء الزينة وإظهار مواضع الجمال][2].

وإن النفس البشرية تطمع دوماً نحو المزيد من الملذات، يقول الإمام إبن الجوزي في صيد الخاطر [ومتى قدر الإنسان على ما يشتهيه مله ومال إلى غيره، تارة لبيان

---

(١) الإسلام والجنس ٨٦.

(٢) الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل ٤٥.

عيوبه التي تكشفها المخالطة فإنه قد قال الحكماء: العشق يعمي عن عيوب المحبوب وتارة لمكان القدرة عليه، والنفس لا تزال تتطلع إلى ما لا تقدر عليه](1).

وإن المرأة تعيش نفس الوضع فهي لا ترى من زوجها إلا الرجل الذي يأخذ، فهو يأخذ منها في الناحية الجنسية وإن كان يعطي أيضاً لكنه يأخذ أكثر، وهو يأخذ منها في خدمة البيت وتربية الأطفال، ويطلب منها الصبر على مشاق الحياة، وترى منه حقيقته المجردة بعيداً عن أجواء الزيف، فتراه على كل الأحوال، بينما زميل العمل أو الدراسة فلا ترى منه إلا جانب العطاء، فهو الرقيق في الكلام، صاحب البسمة، حسن الثياب والمظهر، الحريص على مصلحتها فلا يعمد لإحراجها، وقد يساعدها في عملها، إنها عند ذلك لا بد أن تقارن بزوجها كما يقارن الزوج بزوجته مع بقاء سلبيات كل طرف مخفيّة على الآخر، وعندها يحدث التمزق في البيوت، فقد تتعلق المرأة أو يتعلق الرجل بالطرف الآخر من زملاء العمل والدراسة وبالتالي تحدث الفتنة وما يتبعها من خراب البيوت أو غيرها من مآسي، وقد ينتهي الأمر على السكوت على آلام تعتصر القلوب وحسرات تملؤها ويعيش بذلك كل طرف مع زوجه وأحاسيسه هناك بعيدة مع زملاء العمل أو الدراسة ولكن قد يقول البعض إن في هذا التصوير للعلاقة مبالغة ومغالاة وليس الأمر كذلك، فالحقائق ملموسة في كل المؤسسات المختلطة، وإن استمر الحال على ما هو عليه فإن الفاحشة ستدمر المجتمعات الحالية، ذلك أن حدوث نسبة قليلة في كل دائرة من هذا الفساد كفيل بأن يأتي على الباقي فالفاحشة تسري في المجتمع كالنار في الهشيم.

إن الإسلام حريص على سلامة البيت الإسلامي، [فالزوجة يمنع الإسلام عنها تيار الفتنة والإجتذاب، فينهى عن إفسادها وتحريضها على زوجها، وتأميلها بحياة أرغد وعيش أهنأ فإن فاعل ذلك شرير ملعون قال النبي ﷺ «ليس منا من جنب امرأة على زوجها» أي أفسدها عليه](2) وإن الإختلاط يزيل الحواجز وييسر

---

(1) صيد الخاطر.

(2) الأسرة في الإسلام ٨٨.

طريق الفساد وبالتالي خراب البيوت [«عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني «أن أعرابياً أتى النبي ﷺ . . . الحديث وفيه: إن ابني كان عسيفاً لهٰذا فزنى بامرأته . . . إلى قوله: على ابنك جلد مائة وتغريب عام، اغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ على امرأة هٰذا، فإذا اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها ﷺ فرجمت» أخرجه الستة. وقال مالك: العسيف: الأجيرُ.][1] فباحتجاب المرأةعن الرجل [لا يرى زوج الدميمة محاسن غيرها. فيتحسر على حظه ويحسد غيره][2].

إن الإسلام حريص على أن تكون الفتنة في أضيق مواقعها مع عمله الدائم على القضاء عليها في مهدها ومن هنا كانت تشريعات الإسلام، وإن كل أحكام الإسلام حول علاقة الرجل بالمرأة الهدف منها حماية الرجل والمرأة على السواء ومنع بدايات الفتنة لا نهاياتها. [فالمقصود الرئيسي هو صون النساء والرجال من النزعات والمحركات الشهوانية، وما وضعت هٰذه الحدود والقيود إلا منعاً لاختلاط الرجال والنساء وارتفاع الكلفة فيما بينهم][3] وإن الإختلاط ليولّد الشك والغيرة وربما لارتكاب الجرائم نتيجة الشك مما يتسبب في دمار البيوت وضياع الإستقرار منها فالحل الأمثل هو [أن لا يدخل على المرأة الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق «قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام «أي شيء خير للمرأة؟ قالت أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض»][4]. رواه البزار والدارقطني بسند ضعيف.

لقد أباحت مجتمعات اليوم البعيدة عن الإسلام الكثير من الأمور المخالفة للإسلام والتي كان لها أكبر الأثر على المسلمين أفراداً وجماعات فلقد أدى الإختلاط إلى التهاون بأمور أهمها غض البصر، وإلى المقارنة بين النساء عند الرجال والمقارنة بين الرجال عند النساء ومن ثم حدوث الإعجاب أحياناً، وإلى فقدان الكثير من الحياء ودخول المرأة في مجالات التنافس الذي أفقدها مكانتها كطرف مصون

---

(١) حسن الأسوة ٢٧٧.

(٢) التبرج ٤٥.

(٣) الحجاب ٢٧٦.

(٤) الإحياء ٤٨ /ج ٢.

ومرغوب فيه لأن عنده ما يخفيه وتحولت إلى طرف يظهر كل ما عنده ليقنع الآخرين بكفاءته، وما المبالغة في وضع المساحيق وتنوع اللباس والأزياء إلا من هٰذا القبيل، بل وصل الأمر ببعض النساء إلى حد الإبتذال سعياً للأهداف عن طريق الإغراء أو غيره، ووصل الأمر بالطبع ببعض النساء إلى الإنخراط في سلك الرذيلة أو على الأقل الإنحراف.

يقول الأستاذ المودودي في كتابه الحجاب [وقد استحث الإختلاط المطلق بين الرجال والنساء غريزة التبرج والعري في النساء، وزواجهن تلوثاً بالفواحش، فالجاذبية الجنسية (Sexual attraction) التي قد أودعتها فطرة الرجل والمرأة ولها عليها سلطان لا ينكر تزداد قوة واشتداداً باختلاط الجنسين وتتخطى حدوده بكل سهولة][1].

ولذلك [فإن عمل المرأة في اكتساب الرزق، يعد في جوهره من المباحات التي لا فرق فيها بين الرجل والمرأة. ولكنه يكتسب بعد ذلك حكم الحرمة إذا ترتب عليه محرم][2] فكان [أن نهى القرآن نهياً صريحاً عن إبداء النساء زينتهن لغير أزواجهن ومحارمهن، ومن المعلوم أن المرأة في حالة الإختلاط ستظهر محاسنها ومفاتن جسمها، ولن تذهب إلى هٰذا المجتمع إلا بعد تكلفها بتجميل نفسها من الأصباغ والأدهان العطرية لعلمها أن الشباب سينظرون إليها] [إن احتجاج النساء بأن لزوم البيت يحرم المجتمع من جهود نصفه الآخر، ويحدّ من حرية المرأة باطل ومردود.. بل إن هجرها للبيت هو الذي حرم المجتمع من جهود نصفه الآخر التي لا يستطيعها غيره... وهو الذي حدّ من حريتها في الإنفراد بزوجها وعرّضها لأسوأ ما عرفته البشرية من خلائق السوء والفجور ألا وهو الخيانة في العرض][4] ولقد خسرت المرأة الكثير من حيائها باختلاطها بالرجال والحياء شعبة من الإيمان [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ الإيمان بضع

(١) الحجاب ٣١.
(٢) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٦٢.
(٣) الإختلاط وما ينجم عنه من مساوىء ١٥.
(٤) اللقاء بين الزوجين ٤١.

وسبعون «وفي رواية: بضع وستون» شعبة، والحياء شعبة من الإيمان] أخرجه الخمسة][1] [«والحياء شعبة من الإيمان» يعني الإستحياء من ارتكاب المناهي والفواحش شعبة عظمى من شعب الإيمان، وعمود من عَمِدَ الدين ولهذا أفرده بالذكر، وخصصه بالبيان. والحياء في اللغة: تغير وانكسار يلحق الأدمي من فعل الأمر المعيب، والشيء القبيح. وفي الشرع: عبارة عن سيرة باعثه على التقوى مما لم يأمر به الشارع مانعة من التقصير في تأدية الحقوق الدينية. والحياء وإن كان طبيعة وجبلة لكل أحد، ولكن في وجوده الشرعي دخل للإنسان والرياضة، كما هو حال سائر الأخلاق والعادات. قال سيد الطائفة «جنيد البغدادي»: الحياء حالة تتولد من رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فإن العبد إذا يرى نعم الله عليه لا تتناهى ويرى تقصيره في أداء شكرها، يستحي ويظهر منه التغير والإنكسار][2].

[إن الحياء يراد به في الإسلام ذلك الشعور من الخجل الذي يشعر به الإنسان في نفسه أمام فطرته وأمام الله تعالى حينما يميل إلى منكر وهذا الحياء هو القوة التي تكف الإنسان عن الإقدام على الفحشاء والمنكر، فهو إن ارتكب سيئة بدافع جبلته الحيوانية، حز في نفسه هذا الحياء ونغص عليه عيشه، ومجال التعليم والتربية الخلقية في الاسلام أنه ينعش هذه الغريزة المدفونة في الفطرة الإنسانية، فيغذيها وينميها بغذاء العلم والفهم والشعور، حتى يجعلها حاسة خلقية قوية، يقيمها في نفس الإنسان كالمأمور وهذا ما فسره النبي ﷺ بقوله: «ولكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء» تفسيراً مطبقاً. وهو أيضاً مما يؤيده الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «إذا لم تستح، فاصنع ما شئت» ومعناه أنك إن فقدت الحياء، غلبك الهوى الذي مصدره الجبلّة الحيوانية ولم يعد المنكر في نظرك منكراً][3].

[إن الضمانة الكبرى لبقاء الأمور على نهجها السوي، هي أن لا تنزل المرأة إلى ميدان العمل من أجل الرزق إلا في أضيق الظروف والحالات الضرورية][4]

---

(١) تيسير الوصول ٢١ /ج ١.

(٢) الدين الخالص ١١٣ /ج ٣.

(٣) الحجاب ٢٥٦.

(٤) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٦٠ + ٦١.

[لأن المرأة عندما تشترك مع الرجل وتنافسه في تربية المال وجمعه إنما تضيق من سبيل ذلك على الرجل بلا شك. فتضطرب بذلك الصلة بين التزاماته المادية ومجالاته الكسبية، بسبب ضيق هذه الثانية وبقاء الأولى على ما هي عليه، فتتولد من ذلك مشكلة بل معضلة، سرعان ما يبدو لأرباب النظر السطحي أن لا حل لها سوى جعل المرأة شريكة في غرم النفقات كما أصبحت شريكة له في غنيمة الكسب! . وإذاً فإن اشتراك المرأة مع الرجل في الكسب المطلق (أي دون تقييد بحالات الضرورة) هو أهم الدوافع إلى اشتراكها معه في نفقات الزواج، وهو بالتالي أهم الدوافع إلى أن يتحول الأمر عن سبيله الطبيعي، فتصبح المرأة (بالتدرج) هي الباحثة عن الزوج والمبادرة إلى طلبه. وعندئذ فقط ستفقده، لتجد في مكانه خليل اليوم واليومين، بل صاحب الساعة والساعتين][1] فإن الحياء هو حياة القلوب، فإن فقده القلب استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

[وأن أجزاء الجسد الإنساني التي قد وضعت فيها الجاذبية الجنسية للرجل والمرأة تقتضي الفطرة الإنسانية أن يعنى المرأ بسترها ويستحيي من كشفها، ولكن الشيطان لا ريب يريده أن يبرزها][2]

المقارنة المدمرة

إن كثيراً من النساء المسلمات هذه الأيام لا يلتزمن الحجاب الإسلامي فأصبحن ظاهرات الجمال وأصبح الرجل يقارن الواحدة بمثيلاتها مما أثر على نفسيته، فأخذ البعض يسعى لإشباع رغباته بطرق الحلال أحياناً أو الحرام أحياناً أخرى مما أدى إلى التعدد عند أصحاب الحلال أو الإنحراف عند أصحاب الشهوات، أو التمزق عند المترددين. قال تعالى ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**] الأحزاب ٥٩. [عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل،

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله ٦٠ + ٦١.
(٢) الحجاب ٢٢٦.

قال: «قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة، ولا يرحن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» أخرجه مسلم. كاسيات: أي بنعم الله. وعاريات: أي من شكره سبحانه، وقيل: يسترن أجسامهن ويكشفن بعضها، وقيل: يلبس ثياباً رقيقة تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة. ومائلات: أي زائغات عن طاعة الله تعالى، وما يلزمهن من حفظ الفروج.](1)

إن الإسلام أكثر ما يهمه من اللباس هو الستر دون الزينة، فهو يأمر الرجل والمرأة أن يسترا من جسمهما كل الأجزاء التي فيها جاذبية للصنف الآخر](2) [وإن الإسلام قد احترم مشاعر المرأة حينما فرض عليها الحجاب، وذلك لئلا تمتد عيون الرجال وتتحرك عواطفهم نحو الفتنة المعروضة والمبذولة في الطرقات، مما يعمل على فتور جذوة الحب والمودة في قلب أي زوج نحو زوجته، فلا شيء يهدد حب الزوج لزوجته قدر ما يهدده امتداد عينيه إلى ألوان من الفتنة وألوان من الجمال معروضة للناظرين، ولا شيء يقصر حب الزوج على زوجته وحدها قدر ما يقصره حبس عينيه عن مفاتن كل أنثى غيرها، وهو ما هدف إليه الإسلام من ضرب الحجاب على كل ما هو مثير في تكوين المرأة، حتى الصوت الرخيم.](3).

خروج غير محمود

إن خروج المرأة متبرجة واختلاطها بالرجال أدى إلى عدم الإستقرار في كثير من البيوت بل إلى دمارها في كثير من الأحيان بسبب انحراف الرجال أو الزوجات أو الأبناء أو البنات، فكثرة وتنوع النساء اللاتي يراهن الرجل تؤدي إلى عدم قناعة الزوج بزوجته أو الزوجة بزوجها لكثرة ما ترى من الرجال، وإن كثيراً من الرجال والنساء ليعيش واحدهم مع الآخر وعواطفه وأحاسيسه خارج البيت.

---

(1) حسن الأسوه ٤٥٣.

(2) الحجاب ٢٦٢.

(3) اللقاء بين الزوجين ٣٩.

إن الإختلاط في هذه المجتمعات أدى بأبنائها إلى الضياع، وإنكم يا أبناء هذه المجتمعات [إن لم تتلوثوا بأدناس الفوضى العملية لضبطكم نفوسكم أو لموانع أخرى من حولكم، لم تسلموا ولا شك من خلال الفكر وشروده، فيضيع معظم قوتكم من طريق نظركم وتتدنس قلوبكم باللهف على كثير من اللذات الآثمة التي تخيب فيها أمانيكم، وتقعون في حبائل الهوى معيدين ومبدئين، وتقضون كثيراً من الليالي في اليقظة حالمين][1].

إن النساء كالرجال لسن ببعيدات عن الوقوع في الحب والعشق الذي قد تكون نهايته الزنا إن استمر الإختلاط، ولذلك فعلى النساء الإبتعاد عن أجواء الفتنة.

يقول صديق خان في معنى قوله تعالى [«وقال نسوة» جماعة من النساء «في المدينة» هي مصر، وقيل مدينة الشمس «إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه» وهو يمتنع منها «قد شغفها حباً» أي: غلبها حبه، وقيل: دخل حبه في شغافها، وهو غلاف القلب وهو جلدة عليه، وقيل: هو وسط القلب، وقال ابن عباس: قتلها حب يوسف: والعشق بين الرجل والمرأة وضع إلهي، فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق][2].

عندما يكون الرجل في سن الأربعين ومتزوجاً إمرأة في سن أقل من سنه عشر سنوات، وبالحمل والولادة وشؤون البيت لا شك أن جمالها يذبل وبعد ذلك يترك واحدة في سن الأربعين أو الخامسة والأربعين ويخرج إلى الشارع فيجد فتاة في سن الرابعة عشرة وفي أكمل زينتها، وفي أنضر أنوثتها فماذا يكون موقفه؟ لا شك أن المقارنة ستأتي بين ما يراه هنا وما يراه بالمنزل ويوجد أيضاً فساد. إذن فالإسلام حينما أراد حجاباً للمرأة وستراً، أراد أيضاً أن يؤمن من حياتها، لماذا؟ لأنه حين يمنع التبرج والزينة في الشارع يجعل المرء لا يعرف إلا وجه امرأته، ولا يصنع مقارنة بين جمال هنا في الشارع وبين جمال هناك، لا يصنع مقارنة بين شابة لا تزال

---

(١) الحجاب ٢٨٨.

(٢) حسن الأسوة ١٠٢ + ١٠٣.

في نضارة حياتها، وامرأة تغضن وجهها، وتكسر جبينها، وربما ابيضّ شعرها، لا يعقد هٰذه المقارنة، لأنه لا يرى شيئاً من ذلك.

إن الإختلاط يؤدي إلى الحب والميل إلى الطرف الآخر الذي هو أمر يصعب ضبطه مما قد يؤدي إلى الزنا كقمة للتفريغ العاطفي الجنسي ولذلك وجب منع الإختلاط مع عدم الإقتراب عما يؤدي إليه فالوقاية هي الحل الأمثل فيما يتعلق بالشهوة إن لم يوجد التصريف الحلال لهٰذه الشهوة.

إن علاقة الحب بالجنس قوية جداً وكثرة الإختلاط تؤدي إلى الحب الذي قد يؤدي إلى الزنى. إن الحب طريق ممهد لحدوث العلاقة الجنسية، وإن الممارسة الجنسية تزيد من مقدار الحب بين الزوجين، وإن أي علاقة جنسية لامرأة متزوجة خارج إطار الزوجية هو دمار لحياتها الجنسية والأسرية.

علاقة الحب بالجنس ودور الإختلاط في نشوء علاقة الحب.

يقول صاحب كتاب مبادىء علم الجنس (Sexology) عن علاقة الحب بالجنس:

[في الحقيقة فإن الحب والجنس «النشاطات الجنسية» متعلقان بقوة ببعضها، ولكن هناك سؤال يبرز هنا: هل يسبق الحب الجنس أم يتبعه؟ وفي رأينا يجب أن نفرق بين نوعين من علاقة الحب بالجنس وبذلك نجد علاقة الحب ـ الجنس وعلاقة الجنس ـ الحب.

وفي النوع الأول [الحب ـ الجنس) كما هو واضح من العنوان فإن الحب في الحقيقة يسبق النشاطات الجنسية وهو أساساً قائم على تفاعلات عاطفية والتي هي مشتركة في الحقيقة. فالرجل يجد نفسه منجذب لأنثى معينة لأسباب غير معروفة وفجأة يجد أنه بحاجة لحبها، ولا يحاول أن يبدأ أي نوع من النشاطات الحسية الجنسية وبمعنى آخر في بداية علاقة (الحب ـ الجنس) لا مكان للجنس طواعية. وعندما تكبر هٰذه العلاقة وبوجود حب متبادل تزداد حدتها إلى القمة وهنا يبدأ الجنس في الطفو على السطح لمثل هٰذه العلاقة لوضع حد لهٰذه الحالة من الإشتعال

بالجزء المكمل للحب وهو الجنس. وإذا كانت الظروف مناسبة فالزواج هو الحل المثالي. وإن لم تكن الظروف مناسبة وبوضع العوامل المثبطة في الإعتبار كاختلاف الدين والمشاكل الإجتماعية والعوامل الأخرى الدائمة أو الطارئة، فإنها تكون غلطة فادحة أو حتى جريمة السماح لمثل هٰذه العلاقة بأن تولد، لأن الفشل في هٰذه الحالة قد يؤدي إلى صدمة نفسية عميقة لكليهما أو لنتائج قاتلة. فمثلاً الزوجة التي تسمح لنفسها بالوقوف في علاقة الحب ـ الجنس مع رجل غير زوجها [وعادة زواجها يفتقد الحب المتبادل) إذا استمرت مثل هٰذه المرأة الملوثة في علاقتها غير الشرعية فإنه غالبٌ ما يحدث هناك علاقة جنسية خارج إطار الزوجية وبالتالي لتدمير عائلتها بالطلاق أو بطريقة أخرى. وفي نظرنا إن أي زوجة يجب أن لا تسمح لنفسها بأن تُحَبَّ من قبل أي رجل سوى زوجها). وأما بالنسبة للبنات فإنهن وبسهولة يمكن أن يكتشفن في أي نوع من العلاقة هن على وشك أن يورطن أنفسهن بها.

إن أي فتاة تستطيع اكتشاف هٰذه الحقيقة بملاحظة سلوك شريكها الرجل نحوها، وهي (بكونها أنثى) تستطيع بسهولة التفريق بين مشاعرها الحقيقية والكاذبة ومشاعر الرجل المقابل. إن الحب لا يعني ارتكاب جريمة، ولكن كون الخوض في النشاط الجنسي هو الهدف من ورائه، هو الحقيقة المؤلمة الحزينة.

إن ما يسمى بعلاقة الحب ـ الجنس هو لا شيء سوى مصيدة صنعت بعناية ومهارة، عملت بواسطة الرجال لإلتقاط ضحاياهم (الأنثى)، والحب عمل لتغطية رغبتهم الجنسية.

إن الجهل الجنسي قد يكون عاملاً مهيئاً لنجاح فعل المصيدة، ولكن، على أي حال، فإن أي أنثى يجب أن لا تسمح لأي رجل بأن يحصل على الإشباع أو الرضى أو القناعة أو الإثارة الجنسية باستعمالها إلا من قبل زوجها فقط.

أن تحب لا يعني أن تعطي أو تسمح للحبيب بأن يأخذ ما يريد من جسدها المقدس.

إن الحب يجب أن لا يكون نقطة ضعيفة في عملية حماية البكارة.

إن الدين والشرف والتربية الأخلاقية يجب أن تكون أقوى من الحب المدمر.

من النقاط السابقة المذكورة نستطيع استنتاج أن أي لقاء جنسي خارج إطار الزوجية يتم عمله من قبل الرجل أو المرأة هو خطيئة كبيرة، ولكنه أخطر وأكثر تدميراً إذا تم عمله من قبل إمرأة متزوجة، لأن معظم الرجال يستطيعون عمل لقاء جنسي مع أي امرأة، والقلة يفلحون مع امرأة معينة فقط وهي التي يحبونها، ويصبح عاجزاً عن ممارسة لقاء جنسي مع النساء الأخريات.

وفي الناحية المقابلة فإن الغالبية العظمى من النساء لا تصل إلى الإشباع الجنسي إلا مع رجل معين لأن الرعشة أو الشعور الجنسي عند المرأة أساساً قضية نفسية الأصل.

ولذلك فإن الزوجة التي تسمح لنفسها بخوض لقاء جنسي خارج إطار الزوجية ستقوم عاجلاً أو آجلاً بإنهاء علاقتها مع زوجها وبالتالي لتدمير بيتها وعائلتها: (١).

إن الإسلام يرفض أي نوع من العلاقة الجنسية غير الشرعية سواء كانت الفتاة بكراً أو متزوجة أو كان ذلك من الرجل، وما مرَّ هو بيان لتأثير هٰذه العلاقات غير الشرعية حتى على السلوك النفسي والجنسي للمرأة المتزوجة أو غير المتزوجة وخطورة الوقوع في الحب نتيجة الإختلاط، مما ينعكس على الأسرة دماراً سواء كانت المرأة متزوجة أو إن تزوجت من غير حبيبها مستقبلاً.

إن انحراف أي فرد من الأسرة طامة كبرى على الأسرة كلها، ولكن انحراف الشاب يعرض سمعة البيت للدمار وقد تنشأ عنه أنواع أخرى من الفساد يمارس داخل البيت أو خارجه كالإعتداء على أخته أو إحدى قريباته أو جاراته أو الخادمة.

أما انحراف الفتاة فمشكلة لا علاج لها لأنها دوماً ملتصقة بالفتاة والعائلة

(١) مبادىء علم الجنس (Sexology) ٥٣ + ٥٤.

وتعرض مستقبلها الأسري للخطر، وإن الفتاة إذا فقدت أعز ما لديها وما يميزها ويجعلها مرغوبة فإنها تصبح سبّة على نفسها وعائلتها، وأما إن تمادت في الإنحراف فإنها تفسد في المجتمع كله، أو تبقى لتعيش بحسرتها بقية عمرها، أو تعيش مع من أخطأ معها وهو يشعر نحوها بشعور مشوب بالريبة والشك، فمن تخطىء مرة وتفرط بأعز ما لديها، عرضة لتكرار ذلك الأمر خاصة وأن ما فقدت يجب أن يكون أعز عليها من حياتها، ولذلك فهي للتفريط بما هو دون ذلك أقرب، وحتى لو تم إصلاح ما فقدت جراحياً فإنها تدخل عند ذلك في دوامة ابتزاز الطبيب المالي والجنسي ثم ابتزاز المستشفى الذي تجري فيه العملية، ثم تهديد من قام بفعلته معها إن تزوجت من غيره وبذلك تعيش مع زوجها وهي مهددة معرضة للإبتزاز باستمرار، وأما إن حملت من صاحبها فالفضيحة والعقاب وتشرد الطفل كل ذلك مما يجب أن تحسب له الفتاة ألف حساب وأن لا تفعل الزنى لأن ليس فيه إلا متعة مؤقتة مشوبة بالخوف والشعور بالإثم.

إنها جريمة أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة الجنس، فهٰذه الفتاة ليست لي. لا أملكها لنفسي حتى أتصرف في شأني وشأنها على هذا الوضع. إن لها عرضاً يكافىء عرضي لا يجوز أن أدنسه. إني أحب أن يكون عرضي نظيفاً طاهراً لم يدنسه شيء فلأحافظ على عرض هٰذه الفتاة كذلك. وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة وأن تكون خالصة لي. بروحها وجسمها جميعاً. فلأترك هٰذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجاً له، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي لي خاصة. وهٰذه الفتاة الحارس على عرضها لا تملك التصرف فيه ولا دعوة الناس إلى اغتصابه.

إنه ليس عرضها وحدها، إنه عرضها وعرض والديها وعرض أسرتها وعرض مجتمعها، وعرض الإنسانية إنه عرض الأمانة التي ائتمن الله عليها البشر وينبغي أن يردوا له الأمانة نظيفة كما تلقوها كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق][1].

---

(١) الإسلام والجنس ٨٢ + ٨٣.

[ثم ماذا يفعل أولئك البوائس حال الحمل من الزنى بالوحم وآلامه والوضع ومشقاته ثم بالحضانة والإرضاع والتغذية والكسوة لما يضعن؟ وهل ينتظر من إبن الزنى وقد نشأ بلا أب ولا موجه إلى العلم والنفس ويطبعها تبطؤ عنها، هل ينتظر منه إلا أن يكون داعراً فاسداً شراً على نفسه وعلى الناس][1].

إن منع هذه العلاقة وكل ما يؤدي إليها هو الذي لا يؤدي إلى الكبت هذا المرض الخطير. [وإنما وجد الكبت حقاً في العالم الإسلامي منذ عهد قريب، حين خرجت المرأة سافرة متبرجة، وأصبحت فعلاً أو حكماً في متناول الشباب الجائع، الذي تمنعه من الزواج المبكر ظروف إقتصادية وإجتماعية وفكرية، تطيل فترة التعطل الجنسي وتدفع إلى الجريمة. حين ذلك وجد الكبت. . . وجد الصراع الداخلي بين تعاليم الدين ودفعه الجريمة، ولم يكن ذلك ـ كما يريد البعض أن يفهم ـ نتيجة إتباع تعاليم الدين وإنما كان نتيجة انحراف المجتمع عن الدين، وبعده عن الحل الطبيعي الذي وضعه الإسلام للمشكلة الجنسية][2].

البعد المشؤوم

إن كل هذه المشاكل الموجودة في مجتمعات اليوم نشأت عن بعد الناس عن الإسلام على المستوى الفردي والجماعي وتهاونهم في علاقة الرجل بالمرأة، وإن الإسلام لا يتحمل مسؤولية نشوء هذه المشاكل، بل يبين لهم طريق الحل لها، وهو العودة للإسلام بكل أحكامه وتشريعاته، وإن حلول الإسلام كلها جذرية ومتكاملة وفيها صلاح البشرية كلها قال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة**﴾ البقرة ٢٠٨ وطبيعة هذه الأحكام الترابط. قال تعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما هو جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا**] البقرة ٨٥. فلا بد إذاً من العودة أفراداً وجماعات ودولاً للإسلام الذي يوجه أفراده للإلتزام الفردي وللتغيير في المجتمع نحو الأصلح.

---

(١) رحمة الإسلام بالنساء ٨٧.

(٢) في النفس والمجتمع ٦٧.

قال تعالى: ﴿إن لله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الرعد ١١. [عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان] رواه مسلم.

إن الإسلام يحث على غض البصر وغيره من الأوامر الفردية والإجتماعية ويعد المسلمين مزيداً من الأجر عند فساد الواقع (عن عبدالله بن مسعود قال «قال رسول الله ﷺ «إن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن كالقابض على الجمر، للعامل فيها أجر خمسين، قالوا يا رسول الله خمسين منهم أو خمسين منا، قال خمسين منكم» رواه أبو داود وإبن ماجة والترمذي وقال حسن غريب ورواه البزار والطبراني بنحوه، ولكن الإسلام لا يتنازل تحت ضغط الواقع الفاسد عن أحكامه، لأنها قيم يجب على المسلمين التزامها تحت كل الظروف، فهي المنار الذي يتطلع إليه المسلمون ولا يجوز التنازل عنه تحت أي ظرف أو واقع قال تعالى ﴿صبغة الله﴾ البقرة ١٣٨.

إن أحكام الله لا تتغير ولكن الأجر يزداد للعاملين الملتزمين حسب تغير الواقع والظروف. ولعل الأحاديث التالية تصف بعض واقعنا. [عن إبن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن منهم من أتى أمه علانية، ليكونن في أمتي من يصنع ذلك.. الحديث» أخرجه الترمذي. وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ، «كيف بكم إذا فسق فتياتكم، وطغى نساؤكم؟ قالوا: يا رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قال نعم وأشد.. الحديث» رواه رزين][1].

إن الإسلام غير مسؤول عن الفساد الحالي ولقد منع الإسلام بدايات الفتنة فحث على غض البصر [عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال» رواه إبن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد. وعن عبدالله بن مسعود

---

(١) حسن الأسوة ٣٩٧.

رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد](1) وفرض الإسلام على النساء الحجاب قال تعالى **﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن]** الآية ٥٣ الأحزاب.

إن الإسلام غير مسؤول عن فساد المجتمعات الحالي، بل إن هٰذا الفساد ما كان إلا نتيجة ابتعاد الناس عن أحكام الإسلام، وإنه لا حل لهٰذه المشكلات إلا بالعودة الكاملة للإسلام.

إعلام هدّام

لقد ساهمت وسائل الإختلاط بدور كبير في هٰذا الفساد والإفساد وساهمت الهجمة الشرسة على الإسلام في شتّى المجالات في ذلك، كما ساهم إنعدام الثقة بالإسلام عند أبنائه في ذلك أيضاً، وإن استمر الحال على ما هو عليه فستلقى هٰذه المجتمعات نتيجة فسادها وبعدها عن منهج الله. قال تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** طه ١٢٤. وقال تعالى: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** محمد ٣٨ وقال تعالى: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾** الروم ٤١ وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾** المائدة ٥٤. وقال تعالى: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾** الإسراء ١٦.

إن الهيجان الجنسي الذي يؤدي إلى كل هٰذه الكثرة والرواج لأنواع الفواحش، إنما ينبعث من تأثير الآداب والصور والسينما والمسرحية والرقص، وما إليها من مظاهر التهتك والتبذل](2) [نقل صاحب المنار قائلاً: إن القائمين على

(١) حكم العورة ٨٠.

(٢) الحجاب ٨٢ + ٨٣.

عملية المطالبة بالإختلاط في مصرهم المنحلون عن دين الإسلام وآدابه وأخلاقه، والذين يودون لو مرق جميع المسلمين منه، ويحبون أن يعيشوا في الدنيا عيشة البهائم، ليس عليهم أمر ولا نهي ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام]. [1]

[إن الفراغ والترف وتميع مواقف القوانين الوضعيّة من الجرائم الأخلاقية والجنسية من الأسباب الرئيسية الكامنة وراء ظواهر الشذوذ الجنسي][2].

جيل وجيل

إن المقارنة بين الجيل الحالي من الرجال والنساء الذي يعيش في ظل الإنفتاح في العلاقات بين الرجال والنساء، مع الجيل السابق الذي عاش في ظل إغلاق هٰذه العلاقات ومنع الإختلاط، لتوضح لنا أن الأجيال السابقة كانت أكثر سعادة من الجيل الحالي رغم قلة مواردهم وسوء أوضاعهم المادية المعيشية، ذلك أن العامل الأساسي في سعادة الأجيال السابقة كان في إحساس المرأة بأن زوجها، وكذلك الزوج بزوجته أنه هو الأمثل والأحسن وأنه يعيش لها ولسعادتها ويضحي من أجلها، وذلك لقلة إختلاطهم بالآخرين من الجنس الآخر، ولذلك كانت قناعة كل طرف بالآخر كاملة ومع هٰذه القناعة كان إحساس الرجل والمرأة بإشباع كل منهما للآخر من كل الجوانب. [روى البزار والدارقطني من حديث علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل فضمها ﷺ وقال: ذرية بعضها من بعض واستحسن كلامها][3]

[لقد أفرد الإنسان عن الحيوان وذكر من خاصته أن له من وراء الزوجية مقصداً أسمى وأجل وهو أنه يجب ألا تكون بين زوجيه علاقة شهوة فحسب، بل تكون بينهما علاقة حب ومودة وأنس وعلاقة تأتلف بها القلوب وتتصل الأرواح. ويكون أحدهما موضع سر الآخر وشريكه في البؤس والرخاء، ويكون بينهما من

---

(١) الإختلاط وما ينشأ عنه من مساوىء ١٠.

(٢) الإسلام والجنس ٤٩.

(٣) رحمة الإسلام بالنساء ٧٠.

الملازمة والإتصال الأبدي ما يكون بين الجسد والثوب. فهٰذه العلاقة بين الصنفين هي الصخرة الأساسية لبناء التمدن الإنساني][1].

إن قناعة كل طرف بالآخر هي أساس نجاح الزوجية وكذلك وجب أن لا يكون هناك تزييف أو غش [روى الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال: «إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب» وليس المراد السواد الخالص فإنه منهي عنه بل ما يقرب من الصفرة وسر الأمر بالأخبار أن النساء يكرهن الشيب في الرجال فالسكوت عنه تدليس وتغرير][2].

[إن السعادة الزوجية لا تتم إلاّ بأن تفهم زوجتك وتفهمك زوجتك، وتتحملها وتتحملك فإن لم تفهمك فافهمها وإن لم تتحملك فتحملها][3]

[ولكن على المرأة أن تبدو لزوجها في أجمل حال يحبها الرجل من المرأة. كي تكون كما ذكر الحديث: «وإن نظر إليها سرّته» وعلى الرجل لزوجته في هٰذا المجال حق. فعليه إعفاف زوجته وتلبية رغائبها، فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها وللمرأة غريزة كما للرجل][4] [فالسكن الزوجي عبارة عن تفريغ جنسي مقترن بالحب، وشعور بالأمن وعدم الخوف ويقين بدوام إقامة الأنثى مع الرجل في كل حال وفي كل وقت وإحساس بتسامي العواطف وبعدها عن الإنتهازية والتزييف][5].

إن قناعة كل طرف بالآخر هي أساس النجاح والسعادة في الحياة الزوجية وإن حياة أبناء جيلنا أصبحت مليئة بعدم قناعة كل طرف بالآخر مع عدم الإحساس بالإرواء والإشباع العاطفي والجسدي والنفسي لكلا الطرفين وكل ذلك نتيجة الإختلاط ورؤية مختلف الألوان والأشكال من الجنسين، ولقد صاحب ذلك

---

(١) الحجاب ٢٢٤

(٢) رحمة الإسلام بالنساء ٤٩.

(٣) هكذا علمتني الحياة ص ٩٦ رقم ٤٨١.

(٤) الأسرة في الإسلام ٦٧.

(٥) اللقاء بين الزوجين ٢٧.

بعد عن الله وقلق على قضية الرزق مما أثمر قلة الأمان والإستقرار في حياة الأسر، فاستعبدهم الجنس واستعبدتهم الدنيا.

يقول الإمام الغزالي عن ضرورة إعفاف المرأة وتحصينها [فإذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والإختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها رُبَّما تستحي، وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد، نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه.][1]

(١) الإحياء ٥٢ /ج ٢.

الباب الرابع

الحل الأمثل للفساد الواقع

إن الحل الأمثل للفساد الواقع هو العودة للإسلام بكل أحكامه وتتلخص أهم القضايا المتعلقة بعلاقة الرجل والمرأة فيما يلي، وهٰذه القضايا تؤخذ ككل لأنها متكاملة ومتناسقة مع غيرها من أحكام الإسلام [قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة﴾** البقرة ٢٠٨.

١ - غض البصر من قبل الرجل والمرأة وهٰذا يتم بالتربية الإسلامية.

٢ - منع الإختلاط في كل المؤسسات.

٣ - تسهيل الزواج وتيسير المهور [ويسر الصداق أمر إعتباري يختلف باختلاف ما قسم للمرء من رزق][(١)]

٤ - تطبيق حد الزنا.

٥ - التربية الإسلامية الشاملة للرجل والمرأة في البيت وفي المؤسسات التربوية مع فهم لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة والتركيز على الدور المرسوم لكل منهما في هٰذه الحياة.

٦ - فرض الحجاب على المرأة ومنع خروجها متبرجة دون عذر مقبول شرعاً.

٧ - تنقية المجتمع من الفساد.

٨ - قبول المجتمع لقضية التعدد والنظر إليها نظرة موضوعية خاصة من قبل المرأة المسلمة التي عليها أن تكون أكثر وعياً تجاه هٰذا الأمر وأن ترضى بأخف الضررين لا لنفسها فقط بل لزوجها وللمجتمع كذلك، هٰذا إن كان هناك ضرر بها أو بزوجها أو بالمجتمع، فإن الضرر بالفرد أخف من الضرر بالمجتمع، ذلك أن زواج الرجل الذي يشعر أنه بحاجة لزوجة أخرى خير له وأخف ضرراً عليه من الزنا واتخاذ الخليلات، والزواج الثاني خير للزوجة من الطلاق، كما أنه خير من حيث حفظ دين الرجل وقلة الفساد في المجتمع، خاصة إن لم يكن الرجل قادراً على ضبط نفسه بالزواج الأول أو لم يتم له الإحصان به.

إن المرأة التي ترضى لزوجها بالزنى واتخاذ الخليلات على الزواج الثاني هي

---

(١) الإخوات المسلمات ٣١١.

مسلمة تحتاج إلى مراجعة نفسها فيما يتعلق بالتزامها بدينها. إن المسلمة التي ترضى لزوجها بأي أمر ولو حراماً، طالما كان بعيداً عنها وليس فيه أعباء أو تكاليف شخصية عليها، هي مسلمة لا تفكر إلا في نفسها وتنقصها النظرة الشاملة التي ينظر بها الإسلام للأمور.

قال تعالى: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾ [فالعدل المطلوب هو العدل الظاهري في الحقوق والواجبات وهو أمر في استطاعة البشر إذ يستطيع الزوج أن يعدل بين زوجاته في المسكن والمأكل والمشرب والمبيت والقيام بواجب الزوجية كاملاً][1] [وقد جاءت شريعة الإسلام، بكمالها لتحول بين وقوع الإنسان في الحرج، فأباحت أن يقترن الرجل بأخرى يصرف عن طريقها طاقته الجنسية التي لم تجد إشباعاً عند الأولى، ولكي لا يقع فريسة للصراع النفسي والوساوس الشيطانية التي قد تتسبب في سقوطه ووقوعه في الحرام. يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: «من الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة، فيستحب لصاحبه الزيادة عن الواحدة إلى الأربع». وعلى هٰذا عدد الصحابة وقل فيهم من ليس له إثنتان][2].

[إن الغزالي يشير بهٰذا إلى أن التعدد لتحصين النفس أمر مرغوب فيه شرعاً، أي مع أخذ النفس بالعدل الواجب بين الزوجات، ويشير أيضاً إلى أن الذين يعددون زوجاتهم لمجرد الإنتقال من ذوق إلى ذوق، دون حاجة إليه في تحصين النفس وعفتها عن المحرم، يعملون عملاً تأباه الشريعة ويمقته أدب الدين][3] [والإسلام عندما أباح تعدد الزوجات لم يكن لصالح الرجل دون المرأة ولكن لتحقيق مصلحة الجنسين. فمعاذ الله أن يكون في شريعته الكاملة محاباة لجنس على حساب جنس. فمن الخير للمرأة أن تشارك أخرى في زوجها فتجد رياً لعاطفتها، وتحقيقاً لأنوثتها، وصوناً لكرامتها.. من ألا تجد رجلاً قط، أو تطلق

---

(١) الأخوات المسلمات ٣١٠.

(٢) الأخوات المسلمات ٣١٢.

من زوجها فتحيا محرومة من شرف الزوجية ونعمة الأمومة.)[1]

إن أي مسلم في عصرنا الحالي ليس بأكثر تقوى من علي كرم الله وجهه، ولا زوجته بخير من إبنة رسول الله ﷺ، وكل مسلمة تعلم أن علياً كرم الله وجهه قد رغب بالزواج على فاطمة رغم أنها سيدة نساء هٰذه الأمة.

إن القضية الأساسية في الموضوع هي إحصان الرجل والحفاظ على دينه، ولكن هناك قضايا أخرى قد يحتاج معها الرجل لتعديد زوجاته، فإن عدم موافقة الرجل للمرأة والمرأة للرجل أمر ممكن، ولو كان كل منهما مستقيماً وتقياً في ذاته، فعدم الإنسجام قد يحدث بين الطرفين، وخير للطرفين عندها أن يبقيا على إتصال من أجل الأولاد، بدل الإنفصال، ومن أجل تلبية بعض الحاجات الفطرية للطرفين. وإن بعض الرجال لا يستطيع الإستمرار في المعيشة مع إمرأته، ولكنه لا يرغب في طلاقها لظروف إجتماعية أو عائلية أو بسبب الأطفال أو لأنها جيدة في ذاتها ولكنه لا يطيق الإجتماع بها لما يرى فيها من عيوب، ما لا يقبله طبعه، أو لعدم وجود التوافق النفسي بينهما، فإنه خير لهٰذه الزوجة أن تبقى مع زوجها وأن يجد هو زوجة أخرى معها توافقه.

إن على الرجل أن يبتعد عن مواطن الفتن ولكن قد يصادف الرجل إمرأة فيرغب بها رغبة شديدة رغماً عنه نتيجة ظروف معينة فإنه خير لهٰذا الرجل وللزوجة الأولى أن يتزوج الرجل من هٰذه المرأة على أن يقع بالزنا أو يبقى في الصراع أو أن يطلّق الأولى للزواج من الثانية. وإن الطلب بالإبتعاد عن مواطن الفتنة أشد في حق المرأة إذ أن الأمر في حقها أصعب إذ ليس لها سبيل للحلال إن رغبت بأي رجل غير زوجها إلا بعد طلاقها منه، وأما إن تأثرت سمعتها بعرضها بقليل أو كثير فإنها ستخسر زوجها وقد تخسر الرجل الآخر أو أي رجل يريد العفاف والإستقرار، وتبقى بعد ذلك منبوذة في المجتمع.

إن المجتمعات الحالية قاسية إذ لا تقدر حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة ولا تتعامل معها بما يحقق الإستقرار والهدوء والإشباع الحلال.

(١) الأخوات المسلمات ٣١٢.

إن المجتمعات الحالية تضع الرجل والمرأة في بحر من الفتن وتجعل زواج المطلقة والأرمل أمراً صعباً، مع النظر إليهم بنظرة مريبة خاصة المطلقة، مما يؤدي ببعضهن إلى التصريف عبر سبل غير شرعية أو إلى المعيشة مع الآلام والحسرات.

- إن المجتمعات الحالية يزداد فيها عدد العوانس

- ويزداد فيها عدد المنحرفات من الفتيات نتيجة صعوبة الزواج بسبب غلاء المهور في أجواء من الفتنة والإنفتاح في العلاقات.

- وتزداد فيها عدم قدرة الشباب على الزواج حتى سن متأخرة وبالتالي يزداد انحرافهم قبل زواجهم.

إن المجتمعات الحالية فيها:

١ - من التشديد في المهور ما يجعل الزواج صعباً.
٢ - وفيها لا تجد الفتاة قليلة الجمال زوجاً في ظل أجواء الإنفتاح.
٣ - وفيها من المغريات بالإنحراف والمثيرات الكثير الكثير.
٤ - وفيها يقوم دعاة الفساد والإفساد بفتح المجالات عريضة لمن أراد الفساد.
٥ - وفيها تزداد نسب الطلاق نتيجة عوامل كثيرة في المجتمع وأهمها الإنفتاح في العلاقات وما ينشأ عنه من مشاكل.
٥ - وفيها من عدم إستقرار الأسر الكثير.
٧ - وفيها من عدم قناعة الأزواج والزوجات كل بالآخر الكثير.

لقد أدركت أوروبا أحاسيس الرجل نحو المرأة وأحاسيس المرأة نحو الرجل ولكنها قبلت تصريفه في أشكال غريبة من العلاقات، فالإختلاط المطلق إن لم يصاحبه حرية جنسية مطلقة مرضي عنها من القانون والمجتمع هو إنهاك لقدرات الفرد والمجتمع، لأن الفرد والمجتمع عندها يقعان تحت الضغوط بين الرغبات والإغراءات وبين عقاب القانون عليها، مما ينشأ عنه اختلال الموازين وتمزق النفوس، وإن كلا حالتي الحرية الجنسية المطلقة أو الوقوع تحت وطأة الضغوط نتيجة الرغبة والخوف من العقاب كلاهما في النهاية سيؤدي لدمار المجتمع نتيجة لفساد النفوس وفقدانها لكثير من القيم، وهذا ما بدأت أوروبا في الوصول إليه

نتيجة حريتها وما بدأت المجتمعات العربية في الوصول إليه كذلك نتيجة ترددها بين الحرية وعدمها. ولكن على المجتمعات العربية والإسلامية وقياداتها الفكرية أن تعلم أنه لا سبيل لهٰذه المجتمعات بالسير في طريق الحرية الجنسية المطلقة لأن الاسلام يرفض هٰذه الفكرة والإسلام لا يمكن أن ينتهي من هٰذه المجتمعات مهما فعل أصحاب هٰذه الأفكار لأن الإسلام محفوظ من الله، فليرجع هؤلاء عن أفكارهم وليكفوا هٰذه المجتمعات المزيد من السير نحو التردد وضياع الموازين الذي هو أسوأ الحالات التي يقع فيها الفرد أو المجتمع الذي يريد أن يتقدم أو يحقق أهدافه السامية. إن نتيجة هٰذا التردد إما الإنفلات المطلق من القيود أو اللامبالاة بها أو التطرف ورفض المجتمع بكل قيمه وأفكاره وبالتالي محاربته.

لقد قبلت أوروبا كل أشكال العلاقات بين الرجل والمرأة في نطاق الحرية الجنسية المطلقة، فمن الصديقة التي تعيش الحياة الجنسية الكاملة مع صديقها ولكنها تعيش عند أهلها، إلى الخليلة التي تعيش معه في بيت واحد دون زواج، إلى التي تجرب ما شاءت من الرجال، إلى أن تجد ما يناسبها، إلى صاحبة الأمزجة الباحثة عن إشباع الرغبة وحسب، إلى التي تعيش في بيوت الرقيق الأبيض ونوادي التجارة بالنساء.

لقد قبلت أوروبا كل هٰذه الأشكال كتصريف للفساد الناشيء عن الإنفتاح في العلاقات بين الرجل والمرأة والإختلاط، ولكنها رفضت الشكل الوحيد المنطقي وهو الزواج بإمرأة أو أكثر، ورفضت الطلاق كنهاية لحياة غير ممكنة مع زوجة معينة، وفتحاً للمجال لكلاهما للبحث عن شريك مناسب.

لقد قبلت أوروبا أن يكون للرجل الخليلات وللمرأة الأخلاء ولكنها رفضت التعدد في الزوجات والطلاق من أجل البحث عما يوافق الطباع ويبعث في النفس الإستقرار.

إن المرأة التي تطالب من باب المساواة أن يكون لها أكثر من رجل هي إمرأة لا تفكر بالإستقرار ولكنها تبحث عن إشباع الرغبة الجنسية وفقط. لمن ينسب الأولاد؟ ولمن يكون الأولاد؟ ولمن يكون الولاء في العاطفة؟ ثم أي النساء قادرة

على القيام بأمور أكثر من بيت؟ وأي النساء تتحمل تربية الأطفال في أكثر من بيت في آن واحد؟ أم أنها لا تنوي القيام برعاية البيت فتخرج للعمل ولا داعي للإنجاب؟ فأين مهمتها الحقيقية إذاً؟ وكيف تلبي رغبة الرجال في عدد الأطفال الذين يرغبهم؟ وكيف تصبح المرأة إذ تعاشر العديد من الرجال؟ وهل عندها من الرغبة لتطلب أكثر من رجل ولتحملهم؟ إن المرأة يكفيها رجل، بل إن بعض النساء لا تكاد تكفي حاجة الرجل الواحد. إنه حتى في أوروبا لا تعيش المرأة مع رجلين، ولكنها تقضي شهوة مع الآخر وتعيش مع رجل واحد فقط.

إن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في أنه انفتح على فساد الأخلاق والفكر والإختلاط وانفتاح العلاقات بين الجنسين ولكنه في نفس الوقت لم ينفتح على الحرية في السلوك الجنسي الذي فرضه واقع الغرب وقبله فكره. وبالطبع لا يستطيع الإسلام أن يجاري الغرب في حرية السلوك المطلقة، أو الإنفتاح الأخلاقي الفاسد لأن كليهما ينافيان طبيعة الإسلام ويتعارضان مع أهدافه الأساسية وأحكامه التي وضعها من أجل تحقيق الخلافة على أكمل وجه.

وإن مشكلة العالم الإسلامي الكبرى تكمن في أنه لم يتقيّد بدينه ولم يفهم حقيقته وسعته واستيعابه لجوانب الحياة ومن ثم لم يطبق هٰذا العالم الإسلامي الحديث أحكام الدين بحذافيرها، بل أصبح يعيش بقيم الغرب حول الزواج والطلاق والعلاقات الإجتماعية. لقد اختلت الموازين واختلطت حتى لم يعد الناس يزنون بنفس الميزان بل كل واحد يقيس الأمور ويزنها بالميزان الذي يريد فأصبح ما يراه أحدهم خير للمرأة يراه الآخر شر مستطير وهكذا تضاربت الآراء وحدث التمزق. إنه لا بد من العودة إلى موازين الإسلام لأنها ثابتة ومتكاملة وربانية، ولأنها من خالق البشر الذي يعرفهم ويعرف ما يصلح حالهم.

إن مجتمعاتنا الحالية أحوج للحلول الإسلامية منها في أي وقت كان، إذ أن فتنة الرجال أصبحت أضعاف آلاف المرات هٰذه الأيام منها في الماضي، كما أن خروج المرأة والرجل عن التربية الإسلامية الأصيلة أنشأ نوعاً من عدم الإستقرار في البيوت.

إن خروج المرأة عن التربية الإسلامية الأصيلة وفسادها يؤدي للفساد أكثر من خروج الرجل، لأن إمرأة واحدة يمكن أن تجد خمسين من الرجال ليمارسوا معها الفاحشة، ولكن الرجل الواحد لا يستطيع أن يجد خمسين إمرأة ليمارس معهن الفاحشة، فالمرأة أقدر على نشر الفساد من الرجل، ولذلك فعلى المرأة أن تكون متنبهة فلا تسمح لنفسها بأن تنزلق ولا خطوة واحدة نحو الفساد لأن الرجل يقدم إذا وجد استجابة ويحجم إن وجد صدوداً وإعراضاً.

لقد شدّد الإسلام على المرأة أكثر من الرجل بسبب أنها مطلوبة من قبل الرجل، وإمكانية الفساد في المجتمع ككل ممكنة بعدد قليل من النساء وغير ممكنة بعدد قليل من الرجال. قال تعالى ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ الأحزاب ٣٢. لقد أباح الإسلام التعدد للتصريف بالحلال ولكنه نهى عن كثرة الزواج والطلاق للمتعة لأن المقصد الأسمى هو تعمير الكون وتتابع الذرية والخلافة عن الله وهذا لا يتحقق بمثل هذه الزيجات التي لا تدوم إلا على قدر استمتاع الرجل بالمرأة.

٩ ـ قبول المجتمع لقضية الطلاق وتعديل النظرة نحو الأرملة والمطلقة. [فالطلاق هو حرية تصحيح الخطأ... حرية البدء من جديد... حق إنقاذ الحياة وإنقاذ الأسرة من أن تسحق تحت حقد الفشل والكراهية والرضوخ للمصير التعس][(١)]

لقد كان زواج المرأة سواء كانت بكراً أو أرملة أو مطلقة أمراً سهلاً في زمن الرسول ﷺ وكانت المرأة بكل أنواعها تعامل كإنسان كامل النضوج والأخلاق ودليل ذلك حديث أم سلمة وفيه [قلت: يا رسول الله، المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا، ثم تموت فتدخل الجنة، ويدخلون معها، فمن يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة، ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة» رواه الطبراني في الكبير والأوسط وهذا لفظه، وصدره الحافظ المنذري بقوله: روي،

(١) الحرية في الأسرة المسلمة ٢٥.

وفيه إشارة إلى ضعف الرواية][1]، لقد كانت المرأة تعيش مع الرجل فإذا كان التفاهم والتوافق استمرت في معيشتها معه وإلا طلقت لتتزوج غيره بسهولة ويسر ودون إتهام لها بأنها سيئة أو مشكوك في أخلاقها، ولكنه عدم التناسب واختلاف الطبع.

١٠ ـ تطبيق الآداب الإسلامية في الزيارة وغيرها.

١١ ـ تحديد العلاقات بين الأقارب على أسس شرعية.

١٢ ـ العمل الشامل للوصول لهذه الأمور على مستوى الفرد والمؤسسات والدولة إن الوصول لهذه الأمور صعب ولكنه الحل الوحيد للوصول بالمجتمعات الإسلامية الحالية نحو الأمان والإستقرار والإنتاج والتقدم والرفعة والإستقلالية الفكرية والسلوكية.

---

(١) حسن الأسوه ٤٨٣.

الباب الخامس

المؤامرة على المرأة

إن اليهود أعدى أعداء الأمة، والعدو الأزلي للإسلام ومن ناصرهم من صليبيين وجهلة المسلمين وعملاء الغرب والشرق، كلهم حريصون على إفساد المرأة المسلمة لأنها هي التي كانت وستبقى بإذن الله تصنع الرجال الذين فتحوا البلاد ونشروا الخير في كل مكان.

إن المؤامرة أيتها الأخت هي عليك أنت لأنك صانعة الرجال.

[إنه لا يكابر في الحق قضية المرأة إلا أحد أربعة: مراهق لا يفكر إلا في أهوائه الجنسية، وكاتب يرى في إرضاء غرور المرأة ودغدغة عواطف المراهقين والمراهقات، طريقاً إلى رواج كتابه والإثراء منه، وسياسي يهمه كسب أصوات الناخبات من المتعلمات، وطاغية يتقرب للغرب بأنه متجدد غير متعصب للدين والأخلاق والخصائص العربية والإسلامية.](1)

[جاء في بروتوكولات صهيون: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه](2)

[لما أدخل المستعمرون المدنية الغربية في بلادنا، عملوا جهد طاقتهم على أن يمحوا هذه المميزات الثلاثة.. لقد هدموا الحجاب، حتى تخرج المرأة المسلمة سافرة تختلط بالرجال، كالمرأة الغربية سواء بسواء... ولقد عملوا على سلب الرجل حق الطلاق وتقييده حتى يصبح الرجل المسلم كغير المسلم، عاجزاً عن استعمال الحق الذي منحه الله له... ولقد عملوا على تقييد تعدد الزوجات..

(١) هكذا علمتني الحياة رقم ٧١٦.
(٢) الإسلام والجنس ١٩.

حتى تزول عن الأسرة المسلمة، إحدى الصفات التي تفخر بها وتمتاز. . . منذ نزل هٰذا الحق في كتاب الله][1].

يقول قاسم أمين محرضاً على فساد المرأة [إننا نشعر بأنواع الجرائم ترتكب من حولنا، فالقتل والنهب والنصب والتزوير والقذف وغيرها من الجرائم تزعج الساكن وتقلق المطمئن ومع ذلك فإنا نحتمل مصائبها. ونسلم لحكم القدر فيها. فلم لا يكون ارتكاب الفحش من المرأة جريمة من هٰذه الجرائم التي لا يخلو منها مجتمع إسلامي . . ولما نتخيل أنها أشنع وأفظع من سواها حتى اتخذنا لمنعها ما لم نتخذه لمنع غيرها؟][2].

إن المرأة التي تحسن التربية هي التي تحسن صنع المستقبل للأمة. من التي أنجبت عظماء المسلمين على مر التاريخ وقامت بتربيتهم؟ من التي أنجبت التابعين؟ وعلماء المسلمين كالبخاري ومسلم وأبو حنيفة والشافعي؟ من التي أنجبت صلاح الدين وابن تيمية؟ . . . أليس نساء؟ .

نحن لم نفتح الدنيا بأمهات ماجنات متحللات ولكننا فتحناها بأمهات عفيفات متدينات ولم نرث خلافة الأرض بأدب الجنس الشره الجائع. ولكننا ورثناها بأدب الخلق الثائر والتهذيب الوادع][3]. إن المؤامرة على المرأة المسلمة وعليها الحذر والانتباه. إن إخراجك أيتها الأخت المسلمة عن مهمتك الأولى هو الأول والأكبر لأعدائك وأعداء الإسلام ومن ثم يسيرون بك في طرق الإستغلال البشعة كهدف ثان. وأما استعمالك للمتعة فهو الهدف الثالث.

فكوني أيتها الأخت المسلمة مع الله بتربية أبنائك على الإسلام تصنعين مستقبل الأمة الإسلامية لأجيال.

في سنة ١٨٩٤ أي بعد احتلال البلاد بحوالي ١٢ سنة ـ ظهر أول كتاب في مصر، استطاع أن يصدره مسيحي متعصب اعتمد على النفوذ البريطاني لحمايته،

---

(١) مؤامرات على الأسرة المسلمة ٣٢.
(٢) مؤامرات على الأسرة المسلمة ٧٧ + ٧٨.
(٣) هكذا علمتني الحياة ١٠٨ رقم ٥٤٥.

وتأمين طريقه نحو طعن الإسلام بين أهله المسلمين. هذا المسيحي المتعصب هو مرقص فهمي المحامي. وكتابه هو «المرأة في الشرق» وقد دعا فيه لأول مرة في تاريخ البلاد إلى هٰذه الخمسة أهداف:

أولاً: القضاء على الحجاب الإسلامي.
ثانياً: إباحة الإختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.
ثالثاً: تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي.
رابعاً: منع الزواج بأكثر من واحدة.
خامساً: إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط](1).

يقول المرحوم محمد طلعت حرب في كتابه المرأة والحجاب: «إن رفع الحجاب والإختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس. يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي»](2)

لقد أريد للمرأة أن تكون العنصر الأساسي في الدعايات التجارية... في لفت أنظار الناس إلى السلع الإستهلاكية، في اجتذابهم إلى المطاعم والفنادق والمقاهي وبذلك استغلت أنوثتها أبشع استغلال، وتعطلت وظيفتها الفطرية في الحياة، وغدت متاعاً أو شبه متاع.](3)

---

(1) الحركات النسائية في الشرق ١٣ + ١٤.
(2) الحركات النسائية في الشرق ١١.
(3) الإسلام والجنس ٦٨ + ٦٩.

الباب السادس

وأخيراً نقول

إن كل ما جاء به الإسلام من تعاليم ليس بسبب الشك في الرجل أو المرأة وإنما لمعرفته بها وللمحافظة عليها، وعلى المرأة أن تكون أكثر حرصاً في أي علاقة مع أي رجل فهي الخاسرة دائماً.

إن الرجل في مجتمعاتنا غالباً ما يتزوج بمن شاء من النساء مهما كان ماضيه سيئاً، ولكن المرأة إن خسرت من سمعتها ولو جزءاً يسيراً لاحقها ذلك طوال عمرها وكان عقاباً لها على استهانتها في البداية. [وفي هذا يقول فون هومر: الحجاب في نظر الإسلام، وتحريم اختلاط النساء بالأجنبي عنهن، ليس معناه انتزاع الثقة بهن، وإنما هو وسيلة إلى الإحتفاظ بما يجب لهن من الإكبار وعدم التبذل، فالحق أن مكانة المرأة في الإسلام قمينة بأن تغبط عليها][1] [فاحذري أختاه أن تستدرجي فتقيمي علاقات مع شاب لا يؤمن غدره، كما لا تؤمن خيانته، يمنيك بالزواج، وربما أعجبتك فيه ناحية أعمت بصرك عن كل نقيصة فيه، قد تكون واحدة منها تجعله لا يصلح لك. أتريدين بذلك اكتشاف إمكانية التفاهم بينك وبينه من أجل مستقبل الحياة المشتركة؟ فكيف إذا كانت تحدثه نفسه أن يقيم معك علاقات آثمة لفترة زمنية؟ وكيف ستستطيعين الإفلات منه إذا اكتشفت ـ بعد حين ـ خداعه، وتبينت استحالة الزواج منه. إنها مغامرة بمستقبل حياتك ـ الشريفة العفيفة الرصينة ـ وسعادتك لا تستطيعين ـ يا أختي ـ درء أخطارها، وتحمل نتائجها، أنت الخاسرة فيها ـ أبداً ـ إذا انقلب وقد قطعت صلتك به، يذكرك لا يخاف مأثماً، ولا يرتقب لائماً، وصار يعترضك لتجربة ثانية وثالثة، كل ساقط وهابط، لما ألفوه عندك من رغبة في المخادنة، وسهولة في الإستدراج، وضعف في الإرادة. إن لم يكن في ذلك حكم عليك بقلة التربية والمروءة وقدح في الأصل والشرف ومروق من آداب الإسلام وأخلاقه الفاضلة،

(١) إليك أيتها الأخت المسلمة ٢٨.

وتعـاليمه السـامية، وعنـدئذ سيضرب عـلى إسمك ـ إلى الأبـد ـ عند كـل شـاب شريف مستقيم. فإذا تم التفاهم على الزواج في خطوطه العـريضة وهـٰذا ممكن في لقاء واحد لا خلوة فيه، أتركي الأمر ـ عندئـذ يا أخت ـ لمن يكـبرك سناً ويفـوقك خبرة، من أهلك وذويك][1] [فهٰذا التعارف الذي يعنونه لن يزيل نقائص تكرهينها في خاطبك تكتشفينها فيه، وكذلك بالمقابل لن يستطيـع هٰذا الخـاطب تقويمـك في عيوب يجدها فيك. وسيكتشف كل واحد في الآخر ـ بعد الزواج ـ عيوبـاً ونقائص كانت خافية عنه في لقاءات تعارف ومصاحبة ممهدة ـ مهما طالت ـ ما كانت لتتم إلا عن استعـداد مسبق وتهيؤ][2] [هٰـذا ولا بـد من الإشـارة هنـا إلى أن مـا انتشر في بعض الأوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولا قيود بدعوى التعـرف على أخـلاقه وأخـلاقها. . إن هٰـذه الـدعـوى يـرفضهـا الإسـلام، بـل يحـاربها. . . لكـونها تتنـاق مـع أبسط مبـادىء الفضيلة والأخـلاق. . . لأن هٰـذه الخلطة تسيء إلى سمعة المخطوبـة أكثر من أن تسيء إلى سمعـة الخاطب، فقـد لا يتم الزواج فتصبح الفتاة عرضة للتهمة، ومثـاراً للشبهة. . . ممـا يجعل الكثير من النـاس في إعراض تـام عن الزواج منهـا. . . ومعنى هٰذا أنها أصبحت عـانسـاً في سوق الكساد][3].

إن المجتمع الجاهل يغتفر للرجل انحرافه. ويقتل المرأة على انحرافها، مـع أن الشريعة أوجبت على كل منهما الإستقـامة. وأنكـرت من كل منهـما الإنحراف. وأوجبت لكل منهما الستر حين الزلل. وحتمت عقوبة كل منهما حين تثبت الجريمة. فمن أين جاءهم الفرق بين الرجل والمرأة في العقوبة والغفران؟][4].

إن حسن الـظن بالـرجال يجب أن لا يكـون هو الأسـاس في التعـامـل مـع الرجال ولكن الأسـاس في التعامـل مع الـرجل يجب أن يكـون الحرص والحـذر. وعندما تكونين أيتها الأخت في مكان مختلط [فأنت تعيشين في وسط موبوء ترددين

(١) إليك أيتها الأخت المسلمة ٤٢ + ٤٣.
(٢) إليك أيتها الأخت المسلمة ٤٦.
(٣) مسؤولية التربية الجنسية ١٨ + ١٩.
(٤) هكذا علمتني الحياة ٥٠٢.

عليه صباح مساء، لا تزالين مهددة بالإنزلاق والإنحراف ما لم تملكي السيطرة على عواطفك وما لم تراقبي الله في جميع تصرفاتك. فاحذري ـ أيتها الأخت ـ أن تقيمي علاقات مع إنسان كائناً من كان بريئة كانت أو آثمة][1].

إن التعليم أو العمل بدافع الضرورة قد يكون لزاماً على الفتاة، ولكنها الأجواء التي تعيشها الفتاة ويعيشها الشاب هي المسؤولة عن الفتنة لكليهما، وعلى الفتاة المزيد من الحرص في هٰذه الأجواء، وعليها أن تعتبر نفسها في موطن فتنة، واضعة في اعتبارها أن كل من حولها يريد نهش عرضها ولحمها، ولها المزيد من الأجر إن شاء الله على قدر صبرها وثباتها. [إن الإختلاط بين الجنسين هو الخطوة الأولى في المسيرة التي تنتهي إلى ما انتهت إليه المجتمعات الغربية من تهتك ومجون. . ولهٰذا تشدد الإسلام في منع اختلاط النساء بالرجال. علماً بأن هٰذا الفصل بين الجنسين لم يمنع من قيام حضارة فاقت في عطائها الإنساني كل الحضارات، كان للمرأة فيها دور رائد وطليعي][2] [إن كرامة المرأة أن تعامل كإنسان، لا أن يتلاعب بها كدمية وأن ينأى بها عن مظان الشبهات لا أن تطرح في وقود الشهوات، وتلوكها الألسن بشتى الشائعات][3]. [إنك أيتها الأخت إن كنت فتاة مسلمة فينبغي أن تكوني واعية، ففكري ـ أيتها الأخت، جيداً في عواقب الأمور ونتائجها، قبل أن تتجرعي مرارتها، وقبل أن تعضي أصابعك ندماً، وقبل أن تبكي دماً، واسألي من سار في هٰذا الطريق قبلك، بحثاً عن لذة قصيرة أعقبت ألماً، وأورثت ندماً، إن كبرياءك سيتحطم، عندما تسلكين طريقاً منحرفة، ينكرها الشرع والعرف والدين، ولن تكون إلا على حساب سمعتك وشرفك. واذكري ـ أيتها الأخت ـ أن لك أبوين ربياك على الفضيلة والعفاف والتقوى، ووثقا في عفتك واستقامتك، وأذنا لك أن تدخلي الجامعة، فتعيشي بعيدة عن أنظارهما، يريدان لك تحصيل العلم والرفعة فلا يليق بك أن تخونيهما وتلوثي شرفهما][4] [إن

(١) إليك أيتها الأخت المسلمة ١٠.
(٢) الإسلام والجنس ٨٨.
(٣) هكذا علمتني الحياة ٥٢٩.
(٤) إليك أيتها الأخت المسلمة ١١.

الشاب الذي يبتسم لك يخادعك... يريد افتراسك ليستمتع بك، وليقضي شهوته منك، حتى إذا ما روي منك خلعك من صداقته وكأنه لا يعرفك، بعد أن تكوني قد فقدت أنوثتك، وفرطت في سمعتك، وعصيت خالقك، وخنت والديك، وعندئذ ستقضين حياة نكدة، وتعيشين بعدئذ معذبة الضمير كاسفة البال][1] فالبسي أختاه لباس الحشمة والوقار وابتعدي عن مواطن الشبهات واعملي دوماً على الإصلاح، وإن لم تفعلي فاتك ثواب السابقين في السعي لإصلاح ما أفسد الناس.

فلقد مدح ﷺ المتمسكين بدينهم عند فساد الناس فقال: «طوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس»، وفي رواية «يصلحون ما أفسد الناس» وهم قوم صالحون قليل في قوم سوء كثير][2].

إن الإختلاط يعد من أسباب موانع العلم وتعويق حصوله، إذ هو ضار بالمتعلمين والمتعلمات، لكونه يغري الشباب والشابات بالفتنة ويولعهم باللذة ويصرفهم عن فهم العلم وتعلمه، لأن من طبيعة النفوس أنها متى أخذت بمبادىء الأمور المستلذة من النظرة والمحادثة، فإنها تسترسل بأفكارها ويشتد شغفها بها ويتدرج بشتى الوسائل ونصب الحبائل إلى أن تصل إلى غايتها منها وتكون قبل وصول الغاية في هم وبلبال وشغل فكر وبال، تهيم به داعية الشهوة بدافع من التأثر العصبي الناشىء عن المشاهدة والمحادثة][3]

إن الفتاة يجب أن تحرص على عدم التعود على الخروج من بيتها، فهو مستقرها ومملكتها، وبقدر ما تخرج المرأة من بيتها بقدر ما تخسر من حيائها وشرفها وعرضها ولو بكلمة عابرة أو نظرة ماجنة أو تعليق مائع يلقيه أحد الشبان على أسماعها.

إن الشاب العابث يبحث عن عابثة مثله وأما الشاب الذي يريد الإستقرار

---

(١) إليك أيتها الأخت المسلمة ١٢.

(٢) الإختلاط وما ينجم عنه من مساوىء ٧.

(٣) الإختلاط وما ينجم عنه من مساوىء ١٧.

والإستقامة فإنه يبحث عن الفتاة العفيفة الطاهرة، وإن قبول الفتاة بالإختلاط أو الخروج مع شاب قد يؤدي إلى سوء الظن بها، مما يؤدي إلى خسارتها وتلوث سمعتها.

إن الفتاة يجب أن تكون حازمة مع كل تصرف يراد به منها الخروج عن حشمتها وعفتها وطهارتها وشرعيتها في المظهر. إنها يجب أن تدرك أن دينها ولباسها الشرعي هما اللذان يشفعان لها عند الله، فهي مؤمنة مطيعة لربها وهي تأمل في الآخرة التي هي خير وأبقى لا في إعجاب الرجال، ولذلك فإن عليها أن تقاوم إغراءات الرجال من حولها بتأميلها بالزواج مخادعة أو بدعوتها لممارسات وعلاقات معينة بدعوى التعرف أو مجاراة الواقع. إن الرجل الذي يرغب بفتاة معينة يتمنى أن تكون كما يريد، فالفاسق يريدها مثله لتواتيه في رغباته، وصاحب الدين يريدها مثله وهكذا، ومهما كانت نوعية خاطبها فإن الفتاة يجب أن تحرص على نفسها وأن تحرص من كل من يريد منها الخروج عن عفتها ودينها وطهارتها وعليها أن تراقب الله في دينها ولباسها وعفتها.

إنك أيتها الأخت المسلمة لا أظنك تجيزين لنفسك اختلاطاً يلصق بك الريبة، ويسوغ فيك الغيبة، مهما كان بريئاً، وكانت النية فيه حسنة، والقصد فيه شريفاً، وقد ينتهي بالزواج، فنيتك الحسنة وقصدك الشريف لا يدفعان عنك ألسنة لا ضابط لها، تعرض سمعتك، وتطعن في استقامتك، وتثلم من دينك، فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام.][1] [وإن أكبر أمر تخسره المسلمة الخفرة في هذا الإختلاط هو خسرانها للحياء الذي هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها، فالحياء يحسبه بعض الناس هيناً وهو عند الله عظيم، وفي البخاري، أن النبي ﷺ قال: «الحياء من الإيمان». وقال «الحياء خير كله». لأن الحياء ينحصر في فعل ما يجملها ويزينها، واجتناب ما يدنسها ويشينها، والحياء مقرون به البهاء والحلال والجمال، كما ان عدم الحياء من لوازمه ذهاب البهاء والجمال والجلال، ترى المرأة

---

(١) إليك أيتها الأخت المسلمة ٤٠.

الملقية لجلباب الحياء في صورة قبيحة وقحة مترجلة لا تدري أهي رجل أو إمرأة][1].

[إنه بقليل من الصبر يجيء الله لك بالحلال، ما يمنعك من الوقوع في الحرام فلا تستعجلي ـ يا أختاه ـ الأمور، ولا تستسلمي للتيار][2] واعلمي أن معظم الرجال خاصة قليل التقوى منهم، فإنه عندما ينظر إلى المرأة خاصة الجميلة منهن، فإنه يريدها ويتمناها لنفسه، وقد لا يستطيع الزواج منها ولكنه لا يمانع في التمتع بها ولو بالنظر والحديث والتخيل، وأقل ما يفعله هذا هو أن يذهب إلى بيته ليحلم بها كما شاء ويتصورها بأي صورة يريدها، أو يحدّث عنها بما تهوى نفسه أمام أصدقائه ليتفاخر بينهم ويظهر رجولته. [إن تمتع النظر ضرب من الزنى وحظ عظيم من اللذة، وجزء مهم من تمتع الرجل بالمرأة. لذلك فهو يمتد ويصبو إلى الجميلة، وينفر من الدميمة، وهما في الأنوثة سواءٌ][3] [وإن القانون إنما يطلق حكم الزنى على الإتصال الجسدي فحسب ولكن نظام الأخلاق يعد كلَّ ميلان إلى الجنس المخالف، خارج دائرة الزواج، في حكم الزنى من جهة النية والإرادة. فتمتع العين بجمال الاجنبي وتلذذ المسامع بحسن صوته، وتبرى اللسان في محادثته، وتحرك الأقدام إلى لقائه كل أولئك من مقدمات الزنى بل هو زنى بعينه باعتبار معانيها وهذا الزنى المعنوي لا يمكن للقانون أن يؤاخذ عليه. وإنما هو خائنة القلوب، فلا يقع عليها إلا رقيب الضمير. ويشير إلى هذا الحديث النبوي بالكلمات الآتية: «العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه][4].

إن على الأخت المسلمة صاحبة الدين أن لا تستهين بأي علاقة مع أي رجل حتى ولو كان ظاهره التدين فالشيطان دوماً بالمرصاد. [فإن الشهوة إذا غلبت

---

(1) الإختلاط وما ينشأ عنه من مساوىء ١٣.

(2) إليك أيتها الأخت المسلمة ١٥.

(3) التبرج ١٨.

(4) الحجاب ٢٥٧ + ٢٥٨.

ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى ـ ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ـ وإن كان ملجماً بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه][1]

لا تأمنن على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمين
كل الرجال وإن تعفف جهده ... لا بد أن بنظرة سيخون

إن كثيراً من الفسقة يحاولون الإحتكاك بالأخت المحجبة عن باب النيل منها في جانب الرغبات فإن لم يستطع فإنه يلجأ إلى النيل منها بالتعليق أو الإشاعة المغرضة لأنه عندما لم يستطع أخذ ما يريد منها ورؤية ما يعجبه منها، فإنه عندها يتحول إلى عدو، يحاول الإساءة بكل الطرق، وعلى الفتاة الصبر مهما فعل هؤلاء، وعليها أن لا تظهر لهم ليونة في البداية حتى لا يطمعوا، وعليها التزام دينها وأن تنظر إلى هؤلاء الرجال من علٍ وترفع لأنها أطهر منهم وأتقى وأنقى، وعليها أن تقطع عليهم الحبال من البداية حتى لا يتمادوا، ففي التمادي ما يمكّن الشاب من معرفة أمور عنها قد يستغلها يوماً للإبتزاز وغيره.

وأما إن تكلم عنك الناس وأنت بريئة لم تعرّضي نفسك لمواضع الفتنة والشبهة فاعلمي أن الله سيدافع عنك في الدنيا والآخرة وسينال الطاعنون فيك جزاءهم إن عاجلاً أو آجلاً.

وكلمة أخيرة أوجهها إلى الأخ المسلم الذي ظاهره الإسلام، فإنه يجب عليك أن تكون حريصاً على أختك المسلمة المحجبة فلا تسيء إليها، إذ أن علاقتك بهذه الفتاة المحجبة هي خارج حدود الشرع وهي علاقة تسيء لها ولك

---

(١) الإحياء ٢٩ /ج ٢.

وللدين، فاحذر من الوقوع في ذلك، وإن أردت الزواج فعليك بطرق الباب الصحيح وإن كان ولا بد فلقاء واحد يفيد القبول بك فيها لو تقدمت طالباً يكفي وزيادة، مع حرصك على عدم الخلوة، وإن أردت النصح في الدين فهٰذه مهمة الأخوات أساساً. وإن لم تكن قادراً على الزواج فاكظم في نفسك واتق الله واصبر ولا تجعل الفتاة تتعلق بك. فإنك لا تضمن الوفاء بالزواج منها، وهل تقبل هٰذا لأختك أو إبنتك؟.

واعلم أن الناس لا ترحمك ولا ترحمها.

عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ مع إحدى نسائه، فمر به رجل، فدعاه وقال: هٰذه زوجتي فقال: يا رسول الله ما كنت أظن به فلم أكن أظن بك، فقال: إن الشيطان يجري من إبن آدم مجرى الدم» أخرجه مسلم][1]. [إن من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة. ومن ادعى الصبر، وكل إلى نفسه. وربَّ نظرة لم تناظر! وأحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان والعين. فإياك إياك أن تغتر بعزمك عى ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة. فإن الهوى مكايد][2] يقول ابن الجوزي [ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة وقلَّ أن يقاربها إلا من يقع فيها. ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه][3].

ولكن قد يقول شاب [أنا أحس بميل شديد لإنسانة معينة. أعجبني شكلها، أعجبني سلوكها وطريقة تصرفها. أعجبتني أخلاقها. أحسست بالإرتياح إليها، أحسست بهاتف يقول لي: هٰذه التي تكملك. هٰذه هي (الشق) الذي يكمل كيانك وإن هٰذا الميل ليحرك نفسي حركة جادة.. إنه ليس تزجية فراغ ولا حلماً في اليقظة. إنني أريدها. لا شك عندي في ذلك. لقد رتبت في ـ خيالي ـ أن تكون حياتي مع هٰذه الفتاة فلأشرع إذن في التنفيذ، فلآخذ الإذن من صاحب الإذن الأول الذي يملك الأمانة. فلآخذ الإذن ـ في قلبي ـ من الله. فلأتوجه إليه

(١) حسن الأسوة ٣٢٩.
(٢) صيد الخاطر فصل ٥.
(٣) صيد الخاطر فصل ١٤٣.

أن يوفقني إليها وأن يتمم شأني على ما يحبه ويرضاه. ثم فلأتوجه إلى أهلها أطلب يدها وأتفاهم معهم على الأمر ولأكن في تصرفاتي كما ينبغي حتى أقع في نفسها كما وقعت في نفسي، وأعجبها كما أعجبتني. فلأكن رجلاً. فلأكن بحيث تحس أنها تستطيع أن تثق بي، وتطمئن إلي أو. . . إني لا أملك في الوقت الحاضر الوسيلة فلأصبر إذن حتى يأذن الله بالتيسير، ولأنصرف إلى العمل الجاد الذي يوصل، ولأنصرف إلى أهداف الحياة الأخرى التي تتطلب مني الجهود][1]

أخيراً أختاه

ما قصدت أن أقوله أختاه في هٰذا البحث هو:

١ ـ إن المقصود الرباني من هٰذه العلاقة القوية بين الرجل والمرأة هو تحقيق الخلافة وإرغام الإنسان على التناسل.

٢ ـ إن الغرض الرئيسي الذي يريده الرجل هو الجنس ولا يبالي غير التقي إن كان ذلك بالحلال او الحرام.

٣ ـ غرضك الرئيسي من الرجل هو السكن وطلب المحبة والعطف والرعاية ومقدمات الجنس مثل الضمة والقبلة وغيره، وشعورك بمحبة زوجك لك وعطفه عليك خاصة وأنت لا زلت بتاً. ولكن بعد التجربة يصبح مطلبك مثل مطلب الرجل إضافة لما سبق فإياك والسير وراء الشهوة.

٤ ـ إن مطلبك هٰذا تريدينه من الرجل ضمن إطار الأسرة لظروف خاصة نفسية إجتماعية بينما الرجل خاصة غير التقي لا يبالي بهٰذا.

٥ ـ إن غير المستقيم من الرجال يضطر للأسرة اضطراراً في كثير من الأحيان.

٦ ـ قد تصل الرغبة حتى ببعض المستقيمين من الرجال إلى الإنحراف وذلك في فترات نقصان الإيمان والتقوى فعليك الحذر.

٧ ـ الإختلاط وما يصاحبه من نظر وسمع وحديث هو المرحلة الأولى

(١) الإسلام والجنس ٨٤ + ٨٥.

للإثارة الجنسية التي يختلف مقدار جرعة تحريكها من رجل لآخر ومقدار جرعة دخولها في المراحل اللاحقة.

٨ ـ إن الخاسر الوحيد من هذا الإختلاط في النهاية هو أنت يا أختاه.

٩ ـ الإختلاط وما يصاحبه قد يؤدي إلى الحب، والحب نهايته الطبيعية إما الزواج أو المعيشة في الألم أو التفريغ بالحرام، والحال الثاني هو الغالب.

١٠ ـ إن كل ما يمارس خلال الإختلاط هو مقدمات جنسية وكلها ممتعة لكلا الطرفين لكن عواقبها خطرة إذ لا يعرف متى تدخل هذه المقدمات إلى مرحلة الإثارة الجنسية ولا متى تتحول إلى رغبة جارفة هدامة.

١١ ـ الإنفتاح في الإختلاط إن لم يصاحبه انفتاح في العلاقات الجنسية هو عذاب لك وللشاب الذي تختلطين به «وبالطبع الإنفتاح في العلاقات الجنسية ينافي طبيعة الإسلام وأحكامه وأهدافه، وينافي عادات مجتمعاتنا وأحكامها».

١٢ ـ الإنفتاح في الإختلاط هو الطريق إلى ما وصلت إليه أوروبا الآن.

١٣ ـ لا تبالغي بالثقة في نفسك فالنفس أمارة بالسوء ولا تبالغي بالثقة بالزملاء فكلهم على النساء غير أمين.

١٤ ـ واقعنا يفرض أموراً كثيرة، لكن الإستسلام للواقع الفاسد ليس من الإسلام.

١٥ ـ إن قطع الطريق على الفتنة من البداية هو اسهل وأسلم الحلول.

١٦ ـ إن الإختلاط مليء بالتزييف، ولذلك فإن فائدته محدودة في التصرف على الطرف الآخر.

١٧ ـ بقليل من الصبر تحصلين على الحلال وبالتسرع قد تخسرين الحلال إلى الأبد.

١٨ ـ إن فطرة الرغبة بالطرف الآخر والإعجاب بالجمال لا تبيح لنا السير وراء الرغبات بدعوى أنها فطرة، ولكنه ابتلاء وعلينا استعمال الوقاية معه حتى لا نقع

في الحرام، فمن عرّض نفسه للفتنة وقع فيها، وعلى الأزواج المزيد من التقوى والحرص على بيوتهم من الخراب تحت ضغط النزوة أو الشهوة أو الرغبة العارضة.

١٩ - إنه لا يضمن أحد أن زواج إثنين من بعضهما سوف يتم لأنه لا يعلم الأقدار إلا الله فلا تربطي نفسك أختاه بشاب قد تحول ظروف كثيرة بينك وبينه وبذلك لا تنالي من علاقتك به إلا سوء السمعة.

أخيراً أختاه: إن الجواهر الثمينة تحفظ وتخبأ.

أما الجواهر المزيفة فهي رخيصة يمسها وينظر إليها من شاء وفي أي وقت يشاء.

اللهم إجعل هٰذا في ميزان الحسنات واعف ما بدر من السيئات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله يوم الأربعاء

١٩٨٧/١/٢١

الموافق ٢١ جمادى الأولى ١٤٠٧

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. /محمد فؤاد عبد الباقي /دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٣ ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن. /جمع وإعداد أحمد فائز /تأليف سيد قطب دار العربية للطباعة والنشر /بيروت. الطبعة الأولى.

٤ ـ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة. /السيد محمد صديق حسن خان /تحقيق د. مصطفى الخن ومحيي الدين مستو /مؤسسة الرسالة /الطبعة الأولى.

٥ ـ الإسلام والجنس /فتحي يكن /مؤسسة الرسالة.

٦ ـ الإختلاط وما ينجم عنه من مساوىء /الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود /دار الأرقم.

٧ ـ الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل /محمود محمد الجوهري /دار الأنصار.

٨ ـ المرأة كما أرادها الله /الشيخ محمد متولي الشعراوي /مكتبة القرآن.

٩ ـ أخبار النساء /إبن قيم الجوزية /دار مكتبة الحياة /بيروت.

١٠ ـ الحجاب /أبو الأعلى المودودي /دار الفكر.

١١ ـ المرأة بين البيت والمجتمع /البهي الخولي /مكتبة دار العروبة /القاهرة.

١٢ ـ التبرج /حرم الدكتور محمد رضا. طبع المطبعة العصرية ـ الكويت.

١٣ ـ إحياء علوم الدين /الإمام الغزالي /دار إحياء الكتب العربية /عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

١٤ ـ صيد الخاطر /أبي الفرج إبن الجوزي /تحقيق عبد القادر أحمد عطا /مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

١٥ ـ الإعجاز الطبي في القرآن /د. السيد الجميلي /دار التراث العربي /الطبعة الثانية.

١٦ ـ هكذا علمتني الحياة /د. مصطفى السباعي /المكتب الإسلامي /الطبعة الثالثة.

١٧ ـ إلى كل فتاة تؤمن بالله /د. محمد سعيد رمضان البوطي /مكتبة الفارابي /دمشق.

١٨ ـ اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة /عبد القادر أحمد عطا /دار التراث العربي.

١٩ ـ الإسلام واتجاه المرأة المعاصرة /د. محمد البهي /مكتبة وهبه /القاهرة.

٢٠ ـ الدين الخالص /السيد محمد صديق حسن /مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر /القاهرة.

٢١ ـ رحمة الإسلام بالنساء /محمد الحامد /مكتبة الدعوة /حماه.
٢٢ ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول /إبن الديبع الشيباني مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة.
٢٣ ـ في النفس والمجتمع /محمد قطب /دار الشروق.
٢٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد /إبن قيم الجوزية /مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر.
٢٥ ـ مبادىء علم الجنس / Principles of Sexology الدكتور فرج /مركز الكتاب العلمي / القاهرة .Dr. A. N. FARAG The Scientific Book Centre.
٢٦ ـ مسؤولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام /عبدالله ناصح علوان دار السلام ـ الطبعة الثانية.
٢٧ ـ حكم العورة في الإسلام /محمد بشير الشقفة /مكتبة الغزالي /حماه /الطبعة الثانية.
٢٨ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين /إبن قيم الجوزية /مراجعة صابر يوسف /طباعة دار الصفا.
٢٩ ـ في ظلال القرآن /الأستاذ سيد قطب /دار إحياء التراث العربي /الطبعة السابعة.
٣٠ ـ رسالة تبحث في مسائل الحجاب والسفور /الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز طباعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد /المملكة العربية السعودية.
٣١ ـ مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي /تحقيق الدكتور محمد عزت نصر الله، مؤسسة مصري للتوزيع، طرابلس.
٣٢ ـ دستور سلوك البيت المسلم /محمد عطيه خميس /شباب محمد ﷺ /رسائل مدعوه /ط ١.
٣٣ ـ الأسرة في الإسلام /د. مصطفى عبد الواحد /مكتبة المتنبي /القاهرة.
٣٤ ـ محاذير الإختلاط /د. حسن هويدي.
٣٥ ـ أسس النسائية والتوليد /-Derecr llewoellyn-Jones Fundementals of OBSTE TRICS and Gynaecology. الطبعة الثالثة ـ الجزء الثاني 3rd edition vol. 2.
٣٦ ـ الممارسة الحالية للنساء والولادة /مكتبة لبنان /بيروت. Current obs and Gyn. Dia-gnosis and treatement R. C. Benson. Lange medical publication California—.
٣٧ ـ الأربعين النووية ـ شرح إبن دقيق العيد.
٣٨ ـ رياض الصالحين /محيي الدين النووي /دار الجيل /لبنان.
٣٩ ـ المرأة بين الفقه والقانون /د. مصطفى السباعي /المكتب الإسلامي /مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة.
٤٠ ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية /محمود محمد الجوهري ـ محمد عبد الحكيم

خيال دار الدعوة / الإسكندرية.
٤١ ـ الحرية في الأسرة المسلمة / محمد جلال كشك / المختار الإسلامي / القاهرة.
٤٢ ـ مؤامرات ضد الأسرة المسلمة / محمد عطية خميس.
٤٣ ـ إليك أيتها الأخت المسلمة / محمد طارق محمد صالح / طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر.
٤٤ ـ الحركات النسائية في الشرق / محمد فهمي عبد الوهاب / طباعة المجلس العام للجمعيات الطلابية / جامعة اليرموك.
٤٥ ـ الحلال والحرام في الإسلام / د. يوسف القرضاوي / الطبعة التاسعة ١٩٧٥ / مكتبة وهبة / القاهرة.

الفهرس

حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة

● المقدمة ▪

● تمهيد: حول المنهج الرباني ١ ـ منهاج كامل. ٢ـ منهاج يسر ٣ ـ منهاج ثابت
٤ ـ مميزات ثبات منهج الله ٥ ـ تشريع حكيم وتقدير صحيح. ٧

●الباب الأول: مهمات الإنسان الأساسية وصلتها بعلاقة الرجل بالمرأة. ١٩

مهمات الإنسان الأساسية ٢١

١ ـ مهمة الخلافة ولوازم حصول الخلافة هي: ٢١
أ ـ حفظ النسل واستمراريته.
ب ـ وجود أسباب تحبب في النسل وتجمع الرجل والمرأة.
جـ ـ وجود الإستقرار في حياة الرجل والمرأة.

٢ ـ مهمة العبادة. ٣٣

٣ ـ مهمة الدعوة. ٣٤

٤ ـ مهمة الشهادة. ٣٤

● الباب الثاني: أهداف الزواج الإسلامي [أهداف العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة] ٣٥

١ ـ تحقيق معنى الخلافة. ٣٧

٢ ـ عدم الوقوع في الحرام وفيه فصل عن غض البصر وآخر عن الإختلاط. ٣٧

٣ ـ تنشئة الأطفال في البيئة الإسلامية النظيفة مع الإعداد الدعوي والجهادي لأبناء الأسرة. ٨٨
٤ ـ سعادة الرجل والمرأة وأساسها الراحة النفسية. ٩٣

أهم أسس الراحة النفسية ٩٤

أ ـ طمأنة الرجل والمرأة على: ١ ـ الرزق. ٢ ـ الأجل. ٣ ـ سير الأقدار.

ب ـ وضع أسس الإستقرار وأهمها:

١ ـ إباحة الرؤية للطرفين قبل الزواج.

٢ ـ التشجيع على الزواج من البكر.

٣ ـ إيجاب إيفاء الشروط.

٤ ـ التدابير الوقائية لمنع الفتنة وانتشارها.

٥ ـ توافق الدين والمكافأة بين الأزواج.

٦ ـ الرضى بقدر الله في شريك الحياة.

● الباب الثالث: أثر الإنفتاح في العلاقات بين الرجل والمرأة في المجتمعات الحديثة على المسلمين وفيه فصول: ١٠٧

١ ـ مجتمع قاس. ٢ ـ مقارنة مدمرة. ٣ ـ خروج غير محمود

٤ ـ علاقة الحب ـ الجنس ودور الإختلاط في نشوء علاقة الحب.

٥ ـ البعد المشؤوم. ٦ ـ إعلام هدّام. ٧ ـ جيل وجيل.

● الباب الرابع: الحل الأمثل للفساد الواقع. ١٢٧

● الباب الخامس: المؤامرة على المرأة. ١٣٧

● الباب السادس: وأخيراً نقول. ١٤٣

● المراجع ١٥٧

● الفهرس. ١٦١

٣ ـ تنشئة الأطفال في البيئة الإسلامية النظيفة مع الإعداد الدعوي والجهادي لأبناء الأسرة. ٨٨
٤ ـ سعادة الرجل والمرأة وأساسها الراحة النفسية. ٩٣
أهم أسس الراحة النفسية ٩٤
أ ـ طمأنة الرجل والمرأة على: ١ ـ الرزق. ٢ ـ الأجل. ٣ ـ سير الأقدار.
ب ـ وضع أسس الإستقرار وأهمها:
١ ـ إباحة الرؤية للطرفين قبل الزواج.
٢ ـ التشجيع على الزواج من البكر.
٣ ـ إيجاب إيفاء الشروط.
٤ ـ التدابير الوقائية لمنع الفتنة وانتشارها.
٥ ـ توافق الدين والمكافأة بين الأزواج.
٦ ـ الرضى بقدر الله في شريك الحياة.
● **الباب الثالث: أثر الإنفتاح في العلاقات بين الرجل والمرأة في المجتمعات الحديثة على المسلمين وفيه فصول:** ١٠٧
١ ـ مجتمع قاس. ٢ ـ مقارنة مدمرة. ٣ ـ خروج غير محمود
٤ ـ علاقة الحب ـ الجنس ودور الإختلاط في نشوء علاقة الحب.
٥ ـ البعد المشؤوم. ٦ ـ إعلام هدّام. ٧ ـ جيل وجيل.
● **الباب الرابع: الحل الأمثل للفساد الواقع.** ١٢٧
● **الباب الخامس: المؤامرة على المرأة.** ١٣٧
● **الباب السادس: وأخيراً نقول.** ١٤٣
● المراجع ١٥٧
● **الفهرس.** ١٦١